وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

–قالمة – – قسم التاريخ –

محاضرات في مقياس تاريخ و حضارة المغرب القديم -2-

ألقيت على طلبة السنة الثانية ليسانس تخصص تاريخ عام للسداسي الرابع

إعداد الدكتور: بوشارب سلوى

السنة الجامعية : **1441-1442هـ/ 2020-2021 م**

مفردات المقياس:

ـ السياسة الرومانية في بلاد المغرب القديم

ـ التنظيم الاداري.

ـ المقاطعات الرومانية(البروقنصلية ، نوميديا، موريطانيا القيصرية، موريطانيا الطنجية).

ـ القوانين و التشريعات الرومانية.

ـ الموروث الحضاري(العمارة، المعتقدات).

ـ المقاومات(مقاومة يوغرطة، أرابيون...).

ـ الثورات(ثورة تاكفاريناس).

ـ المسيحية، الكاثوليكية، الدوناتية.

ـ الاحتلال الوندالي.

ـ الاحتلال البيزنطي.

ـ مملكة الاوراس، مملكة الامارة الصحراوية، الطرابلسية، إمارة المزاق.

ـ المغرب عشية الفتح الاسلامي.

مقدمة.

أولا: السياسة الرومانية في بلاد المغرب:

المحاضرة الاولى: الأرض الافريقية و المشرع الروماني(أهمية الأرض بالنسبة للرومان).

المحاضرة الثانية: أهم أشكال المستثمرات الفلاحية وأهم التشريعات و القوانين الرومانية.

المحاضرة الثالثة: التنظيم الاداري للمقاطعات الافريقية.

ثانيا: الموروث الحضاري للاحتلال الروماني.

المحاضرة الرابعة: مظاهر رومنة المعتقدات الافريقية و أفرقة المعتقدات و المعبودات الرومانية.

المحاضرة الخامسة: تطور المدينة النوميدية و بعض مظاهر رومنتها.

ثالثا: المقاومة المحلية للاحتلال الروماني

المحاضرة السادسة: مقاومة يوغرطة للاحتلال الروماني.

المحاضرة السابعة: ثورتي أرابيون و تاكفاريناس مع مازيبا.

رابعا: المسيحية الافريقية.

المحاضرة الثامنة: أسباب و عوامل انتشار المسيحية في بلاد المغرب و ظهور المذهب الدوناتي.

خامسا: الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم.

المحاضرة التاسعة: أسباب و مراحل الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم (429- 534م).

سادسا: الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب.

المحاضرة العاشرة: أسباب و مراحل الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب.

سابعا الكيانات المورية

المحاضرة الحادية عشر: ظهور الامارات المورية المحلية و علاقاتها مع الوندال ثم مع البيزنطيين.

ثامنا: المغرب عشية الفتوحات الاسلامية.

المحاضرة الثانية عشر: المغرب عشية الفتوحات الاسلامية.

خاتمة.

قائمة المصادر و المراجع.

مقدمة

مقدمة :

تعتبر الفترة القديمة من تاريخ المغرب من أهم الفترات في تاريخ المنطقة نظرا لتعاقب العديد من الحضارات عليها فهي مليئة بالأحداث المتنوعة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي تركت لنا موروثا حضاريا ماديا و أدبيا معتبرا أثار تساؤلات الكثير من الباحثين و الدارسين حوله كما فتح شهيتهم للبحث في تفاصيله التي عالجت الكثير من القضايا والفرضيات المتعلق بمدى تأثر شعوبه و انفتاحها على معظم الحضارات المتعاقبة عليها أو المجاورة خاصة خلال المرحلة الاستعمارية التي أحدثت تراكما معرفيا كبيرا للأدبيات التاريخية و التنقيبات التاريخية التي أعطت من دون شك المعرفة التاريخية سندا توثيقيا لا يمكن لأي باحث معاصر الاستغناء عنه إلا أن طرق و مناهج معالجتها لجل المواضيع والفرضيات خاصة تلك المتعلقة منها بالهوية المحلية و محاولتهم لربط تاريخهم بتاريخنا جعلتهم يؤسسون لمعرفة تاريخية أحادية النظرة ظلت تتحكم في التاريخ المغاربي القديم حتى و قتنا الحاضر، على الرغم من البوادر الفردية التي شهدتها الجامعات المغاربية بمختلف توجهاتها و مناهجها.

إن تحكم المدارس الغربية في مختلف المصادر التوثيقية من مخططات و تقارير للحفريات جعل حضورها أقوى في مجال التأليف و الكتابة هذه الأخيرة التي من خلالها يمكن التحكم في توجيه الجدل التاريخي لبعض القضايا بكل سهولة. الأمر الذي يدفعنا حتما إلى اعادة النظر في فحوى تلك الكتابات أو بعبارة أخرى يتوجب علينا التنقيب أولا في تلك الكتابات و إعادة غربلتها للحصول على مادة معرفية نقية بعيدا عن أية توجهات أيديولوجية قبل الخوض في معالجتها ميدانيا.

تكمن أهمية هذا العمل الأكاديمي الذي يهدف أساسا تقديم محاضرات للطلبة في هذا المقياس المعنون بتاريخ و حضارة المغرب القديم 2 وهو عمل يندرج ضمن العمل البيداغوجي للأستاذ من خلاله سنوضح مساهمة المغرب القديم في البناء الحضاري للمنطقة المتوسطية بصفة خاصة و الانسانية بصفة عامة من خلال إبراز أهمية الموروث الحضاري الذي تركه أسلافنا دون إهمال دور الشعوب الوافدة عليه مؤكدين على نظرية التأثير و التأثر و التفاعل الحضاري بين شعوب المنطقة دون الخضوع لنظرية سيطرة

الغالب على المغلوب التي تكرس ظاهرة تأثر المغاربة القدامى بكل الوافدين عليهم دون التأثير فيهم.

و الهدف الرئيسي من التعريف بذلك الموروث الحضاري و تدريسه لطلبتنا هو تقوية الصلة بينهم و بين أسلافهم في محاولة منا للتأكيد على تمسكهم بهويتنا المحلية و انتمائنا الأصيل و هذا طبعا بعد معالجتنا لكل محاور هذا العمل المتمثلة في:

المحور الأول المعنون بالسياسة الرومانية في بلاد المغرب و الذي قسمناه إلى تطرقنا فيه إلى ثلاث محاضرات عالجنا في المحاضرة الأولى: الأرض الافريقية و المشرع الروماني(أهمية الأرض بالنسبة للرومان)، في حين تطرقنا في الثانية إلى أهم أشكال المستثمرات الفلاحية وأهم التشريعات و القوانين الرومانية، بينما تناولنها في الثالثة التنظيم الاداري للمقاطعات الافريقية.

المحور الثاني المسمى بالموروث الحضاري للاحتلال الروماني الذي قسمناه إلى محاضرتين درسنا في الأولى مظاهر رومنة المعتقدات الافريقية و أفرقة المعتقدات و المعبودات الرومانية في حين عالجنا الثانية كيفية تطور المدينة النوميدية و بعض مظاهر رومنتها.

المحور الثالث المعنون بالمقاومة المحلية للاحتلال الروماني قسمناه هو الأخر إلى محاضرتين تناولنا في الأولى مقاومة يوغرطة للاحتلال الروماني، بينما تطرقنا في الثانية إلى ثورتي أرابيون و تاكفاريناس مع مازيبا.

المحور الرابع المعنون بالمسيحية الافريقية درسنا فيه أسباب و عوامل انتشار المسيحية في بلاد المغرب و ظهور المذهب الدوناتي.

أما المحور الخامس الخاص بالاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم فقد عالجنا فيه مختلف أسباب و مراحل الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم (429ـ 534م).

في حين المحور السادس المتعلق بالاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب فقد تطرقنا فيه أيضا إلى أسباب و مراحل و نتائج الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب.

بينما تناولنا في المحور السابع الخاص بالكيانات المورية ظهور الامارات المورية المحلية وعلاقاتها مع الوندال ثم مع البيزنطيين. أما المحور الثامن المتعلق بأوضاع المغرب عشية الفتوحات الاسلامية فقد خصصناه لدراسة مختلف الاوضاع السياسية و الاجتماعية

والاقتصادية للمغرب عشية الفتوحات الاسلامية، ليكون مجموع المحضرات اثنا عشر(12) محاضرة موزعة على المحاور المذكورة أعلاه.

ختمنا عملنا بالتطرق لأهم الاستنتاجات التي يمكن للدارس التوصل إليها بعد معالجته لكل محاور المقياس، و في الأخير وضعنا قائمة للمصادر و المراجع المعتمد عليها في العمل.

المحور الأول: السياسة الرومانية في بلاد المغرب

المحاضرة الأولى: الأرض الافريقية و المشرع الروماني(أهمية الارض بالنسبة للرومان).

المحاضرة الثانية: أهم أشكال المستثمرات الفلاحية و أهم التشريعات والقوانين الرومانية.

المحاضرة الثالثة: التنظيم الاداري للمقاطعات الافريقية.

أولا: الأرض الافريقية و المشرع الروماني(أهمية الأرض بالنسبة للرومان):

كان سقوط قرطاجة على يد القائد الروماني سيبيون ايميليانوس سنة 146ق. م نتيجة عمل عسكري منظم تمكنت من خلاله روما انهاء الامبراطورية القرطاجية المعادية لها من جهة و فتح الباب للمزيد من التوسعات المستقبلية على باقي الممالك المغاربية القديمة من جهة ثانية و هو ما تدل عليه و تؤكده مجموعة الاجراءات الادارية و العسكرية الصادرة عن مجلس الشيوخ الروماني، فقد قام هذا الأخير بإعلان أراضي الدولة القرطاجية مقاطعة رومانية لا ذكر لاسم قرطاجة فيها تحت اسم[1] (مقاطعة افريقيا الرومانية Provincia Africa Romana)[2] و القصد من ذلك حتما هو محو اسم قرطاجة نهائيا بعد أن احرقت و زرعت ملحا ليعتبر موقعها ملعونا.

لكن لعنهم لها لم يحل بينهم و بين احاطتها بخندق يجعل حدودها واضحة و هذا طبعا للفصل بين ما غنمه الرومان و بين ممتلكات المملكة النوميدية حليفتهم[3]. و قد تبعت هذه الاجراءات الاولية مجموعة أخرى أبدع المشرع الروماني بل تفنن في وضعها و عملت الادارة الرومانية و جيشها على السهر في تطبيقها و ترسيخها مرحليا بمرور الزمن و هو ما سنحاول التعرف عليه مع بقية عناصر المحاضرة.

1 ـ نظرة المشرع الروماني للأرض الافريقية و أهميتها بالنسبة للرومان: شكلت الارض القضية الأساسية في الصراع بين الاحتلال الروماني و الشعب الافريقي، حيث كان الاستيلاء عليها بموجب حق الفتح الهدف الاساسي للاحتلال الروماني منذ البداية[4]، و لأن هذا الأخير لم يكن ليأخذ تلك الأرض و يجعلها ملكية عمومية للشعب الروماني دون اذن

---

[1] محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 1999.، ص 41.

[2] Cagnat (R.), L'Armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, ed. Leroux 1912, IX.

[3] Pline (L.), Histoire Naturelle,IV, Trad, J. Desanges, Paris, 1980.

[4] محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، 2008م ، ص 79.

من هيئته التشريعية التي تفننت في تحضير ترسانة من القوانين والتشريعات المنظمة لعملية استغلال تلك الارض وتقسيمها منذ الوهلة الأولى لاحتلالها الامر الذي تطلب وجود مهندسون مختصون ضمن جيش الاحتلال فعندما ينهي العسكري احتلاله و سيطرته على الارض يأتي دور أولئك المهندسين للقيام بإجراءات المسح(الكنترة) و من ثمة تكوين ملفات خاصة بها لاعتماد عليها لاحقا خلال عملية التوزيع على أفراد من الطبقة الارستقراطية وعلى قدماء الجند أثناء انشائهم للمستثمرات الفلاحية الكبرى(لاتيفونديا، سالتوس...)[1]. وكذلك لإعداد الجداول الضريبية، و قد شرع في أعمال المسح في افريقيا فيتوس مثلا منذ 120ق.م إلى 39م[2].

ان اعتبار القانون الروماني أراضي البلاد المفتوحة ملكية عمومية (Ager publicus) للشعب الروماني سمحت للمشرع الروماني بتسمية الارض الافريقية بالأركيفينالس (Arcifinales)[3] فهي اخذت من أهلها بعد تهجيرهم منها بالقوة لتقام فيها لاحقا أشكالا مختلفة من المستثمرات الفلاحية السابقة الذكر، و كانت أراضي مقاطعة افريقيا الرومانية هي الأولى التي طبقت فيها روما قوانينها و سياستها الزراعية[4].

2ـ طرق تقسيم الأرض الافريقية و أصنافها: لقد اقتسمت القوى النافذة في مقاطعة افريقيا الرومانية ملكية أراضيها بالدرجة الاولى أفراد الطبقة السيناتورية و آخرين من ورثة العرش النوميدي الذين نالوا هم أيضا قسطا هاما منها على اعتبارهم الجار الجديد و الحليف الوفي للرومان ، كما نالت بعض المدن الحرة التي وقفت هي الاخرى مع روما ضد قرطاج

[1]محمد البشير شنيتي: التوسع الزراعي الروماني، و ظاهرة البداوة في الجزائر القديمة، المركز الوطني للدراسات التاريخية ع23، الجزائر 1987، ص 11، محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، 2008م، ص 79، محمد البشير شنيتي: نوميديا و روما الامبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، كنوز الحكمة، 2012، ص68.

[2]محمد العربي العقون : المرجع السابق، ص79.

[3] محمد العربي العقون : المرجع نفسه، ص80.

[4]هنريات كامبس فابر: الزيتون و الزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، تر محمد العربي العقون، دار الهدى عين مليلة ، ص 48، محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 66، محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 80.

و أولها أوتيكا حصتها[1]، بالإضافة إلى الأراضي التي تم تأجيرها ، كما تم إعطاء حصة أخرى لجند ماريوس (و قد كان من بينهم بعض الجيتوليين الذين انضموا له في حربه ضد يوغرطة و هذا كانوا هم أول من ترومن وحصل على حق المواطنة الرومانية، حدث كل هذا في العصر الجمهوري، أما في العهد الامبراطوري فقد كانت الأولوية للبيت الامبراطوري في الدرجة الاولى من حيث عدد الممتلكات العقارية و الامتيازات فقد قدرت مساحة الأراضي التي كان الاباطرة يمتلكونها في افريقيا بالسدس[2]، ليصبح توبع الأراضي الافريقية كالآتي:

2-1 أراضي البيت الامبراطوري: لقد حل البيت الامبراطوري في الدرجة الأولى من حيث تمتعه بكافة الامتيازات التي جعلته يحصل على الكثير من الممتلكات العقارية المعفاة من الضرائب نظرا لتمتعها بالاستقلالية التامة عن سلطة المدن أو الجهاز الاداري المركزي وعلى هذا الأساس فكل عائداتها كانت تدخل مباشرة في الخزائن الخاصة لأصحابها. وقد قدرت أراضي شمال إفريقيا التابعة للأباطرة بالسدس بعد أن كانت أكثر من نصف الأراضي الإفريقية خلال القرن الأول الميلادي ملكا لستة أشخاص من الطبقة السيناتورية، حيث يذكر الباحثون أن الامبراطور نيرون قام بقتلهم و إدراج ملكياتهم من اللاتيفونديا ضمن الإرث الامبراطوري[3].

حصل الأباطرة و عائلاتهم على الكثير من الممتلكات العقارية بإفريقيا التي أصبحت تسمى دومانات إمبراطورية و هي في الحقيقة لم تقتصر على الأراضي الزراعية فقط بل تجاوزتها إلى الغابية و المحاجر، المناجم، المباني و قطعان الماشية و ورشات لصنع الطوب و القرميد.

و الجدير بالذكر أن هذه الأصناف من الملكيات لم تكن حكرا على الأباطرة الرجال فقط بل حصلت على ذلك أيضا بعض الإمبراطورات اللواتي حضين بامتلاك دومانات

---

[1] محمد البشير شنيتي : التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني و دورها في أحداث القرن الرابع الميلادي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص68.

[2] محمد العربي عقون: المرجعالسابق، ص 80.

3 هنريات كامبس فابر: المرجع السابق، ص ص 48، 50، محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 67، محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص ص81، 90-91، محمد فوزي معلم: المنشآت و المعالم الأثرية الريفية لسلسلة جبال ماونة و ضواحيها- جنوب قالمة- رسالة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2014-2015م،ص67.

معتبرة خاصة بهن أذكر على سبيل المثال ماتيديا(Matidia) ابنة أخت الامبراطور تراجان الذي كان يمتلك أراضي كثيرة عبر كامل إفريقيا و التي ورثت بعضا منها و أم الامبراطورة صابين(Sabine) زوجة الامبراطور هادريان، حيث قامت هذه الأخيرة بتعيين وكيل عنها يقوم بتسيير دومانها و مراقبته[1].

و هي عموما مستقلة في تسييرها عن الادارة العمومية في البلدة أو المستعمرة الموجودة ضمنها ومعفاة من الضرائب فهو وحده فق من يستفيد من عائداتها.

2-2 **أراضي الأسر الأرستقراطية من أعضاء مجلس الشيوخ:**تتعلق ملكية هذه الأراضي بأعضاء مجلس الشيوخ الروماني الذين انتهت إليهم عن طريق الحيازة (Possission) وهي تشتمل على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية و الرعوية أيضا، بالنسبة للنمط الأول وهي الأراضي المنتجة وقد أدرجت ضمن ما يسمى بنظام الفلاحة المزرعية(Systeme Firmage)، أما بخصوص الصنف الثاني الذي يشمل الأراضي غير المنتجة فقد حظيت بنفس وضعية أملاك الامبراطور، حيث أطلق عليها براري الأحرار(Saltus privati)، و قد حفظت لنا الوثائق الايبغرافية عددا من أسماء ملاك هذه البراري أذكر منها سالتوس أفريكانوس (Saltus Africanus)، سالتوس فاليريا أتيكيلكيا(Saltus Valeria Aticilcia). أما بالنسبة لوضعية هذه الأراضي فقد كانت هي الأخرى معفاة من الضرائب فهي تتمتع بالاستقلالية التامة عن المدن والبلدات المجاورة لها[2].

2- 3 **أراضي المستعمرات(Colonae) و البلديات(Municipium, Civitas):**

كانت تمنح للمزارعين الرومان و لأفراد الأسر الارستقراطية المحلية من سكان الحضر المرومنين، حيث حصل الكثير من المزارعين الرومان ـ في بداية الاستعمار ـ على مساحات واسعة من الأراضي لتنفيذ مشاريعهم الاستيطانية التي جعلتهم بمرور الزمن يشكلون طبقة من الأثرياء أو الارستقراطية الرومانية المحلية لها كل الامتيازات.

---

1 هنريات كامبس فابر: المرجع السابق، ص 50، محمد فوزي معلم: المنشآت و المعالم الأثرية، المرجع السابق، ص67.

2 محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 81، محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، المرجع السابق، ص 67.

أما بالنسبة للعناصر المحلية من المرومنين فقد كان حصولها على الأراضي إما عن طريق الوراثة في ظل تسامح السلطة الرومانية المحلية أو بواسطة تأجيرها من ملاكها الرومان، لذا كانت هذه الأخيرة عرضة لأعباء متنوعة من الجباية نتيجة تعرضها لمراقبة مستمرة و كثيفة من طرف السلطة المخولة بذلك، هذه الأخيرة التي كانت تمارس كل أنواع الابتزاز على ملاكها و هذا حسب عرق الفلاح[1].

2 ـ4 **أراضي العشائر و القبائل النوميدية:** هي تلك الأراضي التي أبقت السلطة الرومانية على ملكيتها الجماعية و تشمل بعض الأراضي الزراعية المعروفة بقلة خصوبتها وكذلك الأراضي الرعوية التي تقع في مناطق غير ملائمة للاستغلال المباشر من طرف المزارعين الرومان ، كالمناطق الجنوبية من موريطانيا و السهوب الواقعة ضمن حدود الليمس. والأهم هو الوضعية القانونية لهذه الأراضي التي بقيت غير معترف بها في نظر السلطة لذلك فهي معرضة للحجز و قابلة للمصادرة متى رأت ذلك، مثل ما حدث مع أراضي قبيلتي الموزولامي و نوميدة اللتان قامت السلطة بمصادرة الجزء الأكبر من أراضيها الخصبة في حين تركت لها الجزء الأقل أهمية لتقيم عليه ما تبقى من كيانها الذي ما لبث أن تلاشى بفعل توسع المستثمرات الفلاحية الكبرى و ابتلاعها لليد العاملة من القبائل المتواجدة بالقرب منها[2].

يبدو من خلال ما سبق أن الأرض الإفريقية شكلت الهدف الأساسي بالنسبة لمختلف شرائح و طبقات المجتمع الروماني من أعلى طبقة في هرم السلطة و هي طبقة الحاكمة الممثلة في القياصرة و الأباطرة و أعضاء الطبقة السيناتورية (مجلس الشيوخ الروماني) إلى أدنى طبقة فيه التي تضم المزارعين و الجنود حيث ترجم هذا الاهتمام بالسعي نحو رومنة الأرض الافريقية من خلال تطبيق سياسة استيطانية قوامها الاستيلاء على هذه الأرض و نزع ملكيتها من أصحابها الأصليين مقابل إعادة تقسيمها من جديد على أفراد من الفئات المذكورة أعلاه.

[1] محمد البشير شنيتي: نوميديا و روما، المرجع السابق، ص ص 94، 95، محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 81.

[2] محمد البشير شنيتي: نوميديا و روما، المرجع السابق، ص69

كما لمسنا أيضا محاولة السلطة الرومانية جلب بعض العناصر المحلية الذين أبدو استعدادا للتخلي عن أصولهم المحلية مقابل حصولهم على المواطنة الرومانية من خلال منحهم حق امتلاك بعض الأراضي سواء عن طريق الوراثة أو عقود الايجار وهذا طبعا من أجل تكوين طبقة أرسقراطية محلية مرومنة.

ثانيا: أهم أشكال المستثمرات الفلاحية و أهم التشريعات و القوانين الرومانية المنظمة لها:

1 ـ أهم أشكال المستثمرات الفلاحية:

لقد تطرقنا أعلاه إلى أهم الفئات الذين كان لهم نصيب في الأراضي الافريقية التي أقيمت فيها مختلف المستثمرات الفلاحية المتعددة الأشكال و المساحات نذكر على سبيل المثال لا الحصر اللاتيفونديا و السالتوس و الفندس، لقد كان لهذه المستثمرات جهاز اداري للتسيير و الانتاج كما يمكن أن يكون لها أيضا أسواقا، هذه الاخيرة التي كانت تمنح رخصها من قبل مجلس الشيوخ في البداية لتصبح في القرن الثاني الميلادي(2م) من صلاحيات الامبراطور، ففي افريقيا مثلا عثر على نصين أشير فيهما إلى ترخيص امبراطوري بإقامة أسواق نصف شهرية للفوندي أو السالتي[1].

1ـ 1 اللاتيفونديا: ارتبط ظهور هذا الصنف من المستثمرات الفلاحية في شمال إفريقيا بقوانين العهد الجمهوري، حيث كان استعماله في بادئ الأمر قليلا فهو ليس اصطلاحا تقنيا لأن الاسم في أصله يعني الأرض المحدودة التي تفوق الوحدة الراعية العادية بقليل، في حين تغيرت في العهد الامبراطوري لتصبح مرادفة للمساحات الشاسعة الناتجة عن السطوة الامبراطورية و الفتوحات العسكرية الكبيرة و ما تبعها من غنائم في الثروات المنقولة وغير المنقولة كالعقارات.عموما اللاتيفونديا هي مجموعة من الفنادس و الفيلايي المملوكة للدولة أو الخواص كالامبراطور أو أعضاء الطبقة السيناتورية أو الارستقراطية البلدية، و هي ملكيات كبيرة معزولة عن محيطها بحدود لم تجعلها خارج إقليم المدينة في نظر المشرع الروماني[2]، و إذا كانت اللاتيفونديا المملوكة من قبل الامبراطور معفاة من الضرائب فالأمر

[1] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص88.

[2] محمد البشير شنيتي: نوميديا و روما الامبراطورية، المرجع السابق، ص 92.

مختلف بالنسبة لباقي الملاك الخواص الذين كانوا ملزمون بدفع ما عليهم من أعباء حسب طبعا الطبقة التي ينتمون إليها[1].

1ـ 2 السالتوس: و هو ملك عقاري شاسع يكون ملكا إما للامبراطور أو الدولة، و يشمل الأراضي الغابية و البور التي يصعب استغلالها و هذا طبعا إذا عدنا اشتقاق اللفظ الذي يعنى الغابة أو البراري، و استنادا إلى ذلك فإن السالتوس يشمل تلك الأراضي الواقعة خارج الأملاك العقارية التابعة للمدن و المقصود هنا تلك الأراضي البعيدة عن التجمعات السكانية القروية و الحضرية لكنها لا تخلوا من السكان خصوصا مربوا الحيوانات الذين وضعهم المشرع الروماني تحت سلطة مالك السالتوس، هذا الاخير الذي يتكون من وحدات كبيرة المساحة تبلغ كل منها25وحدة مائوية أو 5000يوقيرا[2].

يسكن أرض السالتوس غالبا أولئك الذين تعرضوا لنزع أراضيهم و هجروا منها إلى الجبال و الغابات، لقد كانت افريقيا في نظر بلينوس أرضا للسالتوس عن جدارة، كما ذكر هذا الاخير أن ستة من كبار الملاك الذين انتزع منهم الامبراطور نيرون الأرض كانوا يمتلكون في نهاية القرن الأول بعد الميلاد نصف إفريقيا، وقد وردت عدة أسماء للسالتوس في حوض مجردة أشير لها في نص عين واصل نذكر منها سالتوس بورونيتانوس في سوق الخميس، سالتوس فيلومونيانوس...)[3].

2ـ **أهم التشريعات و القوانين الرومانية:** لقد سنت روما بعد احتلالها لقرطاجة كما أسلفت مجموعة من القوانين قننت من خلالها لاستنزاف الثروات الافريقية كان أولها قانوني روبريا سنة 123ق.م و قانون توريوس سنة 111ق.م صادرت وفقهما أراضي قرطاجة وحلفائها و أعلنتها ملكية عمومية للشعب الروماني وهذا طبعا كنتيجة لضرورة فقدان

[1] Lasser(J.M), Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 a. C −235 P. C), éd., centre national de la recherche scientifique paris, 1977, p. 323.

[2] محمد العربي عقون :المرجع السابق، ص ص 90، 91.

[3] محمد العربي عقون: المرجع نفسه، 91.

المهزومين لأراضيهم لصالح المنتصرين وللإشارة فقد اعتمدت نفس المعيار عند احتلالها لنوميديا ثم موريطانيا القيصرية فيما بعد[1].

يبدو أن هذه القوانين قد أتت أكلها فقد نجحت روما في التمون بالقمح من نوميديا زمنا طويلا ، لكن و بمرور الوقت و استمرارية تراجع الزراعة في شبه جزيرة ايطاليا و سوء تسيير مستثمراتها تراجعت مداخيل خزينتها مما دفعا في التفكير في البحث عن التعويض في مستعمراتها مما دفع أباطرتها و مشرعيها إلى اصدار بعض القوانيين التحفيزية للمزارعين نذكر منها قانوني مانيكيانا و هادريانا الذين جاء فيهما ما يلي.

2 ـ1 قانون مانكيانا(Lex Manciana): ورد ضمن هذا القانون المكتشف في موقع متيش (Henchir Mettiche) بتونس سنة 1896م[2] عدة بنود نذكر من بينها:

البند الأول: يسمح للذين يقيمون خارج عقار فيلا ماقنا فريانا بفلاحة الأرض عملا بقانون مانكيانا لتصبح الأرض بعد استصلاحها ملكا لهم.

البند الثاني: على المستفيدين من الأرض أن يسلموا ما عليهم من أقساط الانتاج إلى الوكلاء أو مسيري العقار.

البند الثالث: يقوم الوكيل بتقدير كميات الانتاج الواجب تسليمها من قبل فلاحي العقار.

البند الرابع: يقدم المستفيدون من استغلال الأرض داخل العقار إلى المالك أقساطا من المنتوج المقدر بالثلث عن القمح، الشعير و الفول، الربع عن العسل و ربما الخمس عن الزيت.

البند الخامس : تسليم أقساط الانتاج من جني التين.

البند السادس: دفع أقساط من انتاج الأشجار المثمرة (زيتون ، كروم...).

البند السابع: اعفاء ضريبي مؤقت فلا يلزم تقديم أقساط عن انتاج التين إلا بعد انقضاء خمس سنوات من الانتفاع بها[3].

---

[1] محمد الحبيب بشاري: سياسة روما الزراعية في الجزائر القديمة(نوميديا و موريطانيا القيصرية)، أعمل ملتقى المدينة و الريف في الجزائر القديمة جامعة معسكر، 2013، ص 260.

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 75، نوميديا و روما الامبراطورية، المرجع السابق، ص 101، محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 262..

[3] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 84، محمد الحبيب بشاري: المرجع السابق، ص 263.

البند الثامن: يسمح للمزارعين أيضا بغرس أشجار الزيتون و الانتفاع بها لمدة خمس سنوات بعدها يصبح عليه تقديم الاقساط المفروضة عليه.

البند التاسع: يسمح للمزارع أيضا بغرس أشجار الزيتون خارج الارض الزراعية ليستفيد من اعفاء ضريبي لمدة 10 سنوات، يقدم بعدها الثلث من المحصول.

البند العاشر : و يتضمن دفع أقساط عن زراعة الأعلاف.

البند الحادي عشر: دفع الأقساط عن تربية الحيوانات نقدا.

البند الرابع عشر: يتم نزع ملكية الأرض المستصلحة إذا لم يتم استغلالها لموسمين متتاليين[1].

البند السابع عشر : على كل مزارع يقيم داخل العقار تقديم خدمة مجانية في الحراسة.

أما بالنسبة لبعض بنود قانون هادريان المكتشف في موقع الجمالة فقد ورد فيه ما يأتي:

البند الأول: و يتعلق الأمر بالحيازة فقد أعطت السلطة للجميع حق وضع اليد على أراضي المستنقعات و الغابات من أجل غرسها زيتونا أو كروما عملا بقانون مانكيانا.

البند الثاني: و تضمن حق التوريث الصنف السابق من الأراضي التي تمت حياتها[2].

و الجدير بالذكر أن أغلب بنود قانون هادريان جاءت مكملة لما ورد في القانون السابق، إلا أن الفراق بينهما كان يخص طبيعة الأراضي التي يتم زراعتها زيتونا أو كروما بالأول حصرها بالأراضي الواقعة داخل الضيعات في حين وسعها الثاني لتشمل كافة المساحات غير المستغلة كالأراضي البور و القابلة لاستصلاح[3].

أما بخصوص باقي النصوص المتعلقة بالعمل الزراعي عموما فقد عثر على أخرى تعود إلى العهد السيفيري نذكر مثلا نص جنان الزيتون المماثل نص عين واصل المذكور سابقا و غيرهما[4]. و في الأخير يمكننا الوقوف على أن أغلب القوانين و التشريعات الزراعية الرومانية كانت موجهة لتنظيم استغلال الأرض الافريقية بشتى أصنافها و كذا الفرد الافريقي

[1] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص ص 79، 80.

[2] محمد البشير سنيتي: نوميديا و روما الامبراطورية، المرجع السابق، ص ص 106، 107.

[3] محمد الحبيب بشاري،المرجع السابق، ص 264.

[4] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 86، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 265.

و هذا طبعا استجابة لمتطلبات المجتمع الروماني المتزايدة على المواد الأساسية خاصة منها القمح و الزيت...

ثالثا : التنظيم الاداري للمقاطعات الافريقية.

لاحظنا في المحاضرة السابقة كيف تفنن المشرع الروماني في التقنين لاستغلال الأرض الافريقية بعد احتلالها و سنقف أيضا في هذه المحاضرة على ابداعه بخصوص تقسيمها إلى مقاطعات و العمل على تنظيمها إداريا.

تجدر بنا الإشارة أولا قبل الحديث عن أهم المقاطعات التي استحدثها الرومان بعد احتلالهم للأرض الافريقية أن ذلك الأمر قد تم عبر مراحل وليس دفعة واحدة و هذا تماشيا مع طبيعة احتلالهم لها الذي استغرق زمنا طويلا و البداية حتما ستكون بإدارة أولى المقاطعات وهي إفريقيا البروقنصلية علما أن الطريقة ذاتها هي التي ستعتمد في إدارة و تنظيم باقي المقاطعات الأخرى(نوميديا، موريطانيا القيصرية، موريطانيا الطنجية) مع وجود بعض الفوارق البسيطة بينهم و المتعلقة بطرق التسيير الداخلي و هذا طبعا حسب ما تتطلبه شؤون كل مقاطعة .

1: ادارة مقاطعة إفريقيا البروقنصلية: تكونت مقاطعة افريقيا البروقنصلية نتيجة توحيد الولايتين الرومانيتين(ولاية إفريقيا القديمة Africa vetus و إفريقيا الجديدة Africa nova) بعد أن أصبح أكتافيوس أغسطس على رأس الامبراطورية الرومانية عام 27ق.م و قد صنفت المقاطعة الموحدة الجديدة ضمن الولايات السيناتورية حيث دخلت بذلك تحت حكم مجلس الشيوخ الروماني مع الابقاء بها على قوة عسكرية يشرف عليها الامبراطور بنفسه وقد تمت الاستعانة في تسييرها بحاكم برتبة بروقنصل و مساعدين له[1].

1 ـ1 البروقنصل (Proconsul Procinciae Africae): اعتمد مجلس الشيوخ في تسييره لمقاطعة البروقنصلية كما هو وارد في تسميتها على ممثل له يحمل لقب البروقنصل الذي يعني القنصل السابق، يحصل على هذا المنصب من يملك ثروة كبيرة و اسما معروفا يتم

[1] عمار المحجوبي: ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السيفيري(146ق.م ـ 235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001 ، ص 85، 90، محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات) ،دار الحكمة ، 2003، ص 61.

اختياره من بين أقدم قنصلين موجودين في روما أثناء عملية الاختيار يعين لمدة سنة، كما قد يصل حكمه لمدة أربعة عشر سنة كحد أقصى[1].

أعطيت للبروقنصل منذ أوائل العهد الامبراطوري حتى عهد الامبراطور كاليجولا(37-41م) جميع الصلاحيات المدنية و العسكرية فقد كان أيضا يقوم بجميع المهام المتعلقة بالقضاء و جباية الضرائب و حفض الحياة العامة و الأمن و الاقتصاد إضافة لمشاركته في أعمال البناء و العمران[2]. يعتبر البروقنصل الحاكم الوحيد الذي احتفظ بالحكم العسكري فقد مارس كل الامتيازات الممنوحة لقائد الجيش خاصة أثناء قمع الثورات فهو من كان يقوم بالاشراف على التجنيد و يقوم بمعاقبة الجنود المذنبين و يقوم بمنح الجوائز و التتويجات عقب الانتصارات ، كما كان يعين الضباط و يضرب السكة باسم الفرق و بأخذ على عاتقه كل التدابير اللازمة للدفاع عن مقاطعته[3].

كل تلك الصلاحيات السابقة تغيرت بعد وصول الامبراطور كاليجولا الذي حاول فصل المهام العسكرية عن المدنية و هذا بتقليص الصلاحيات الممنوحة للبروقنصل، حيث نعت منه قيادة الجيش و منحت لقائد برتبة ليقاتوس (Legatus)يعينه الامبراطور شخصيا و هو المسؤول أمامه عن حفظ النظام و حماية حدود الولاية ، و لعل السبب في ذلك يعود إلى الخوف من تزايد سلطة البروقنصل الذي امتدت سلطته إلى حدود سيرتا أو ما تتطلبه الأمور العسكرية من إعادة النظام إلى المنطقة، و مع احتفاظ الأول بقوة عسكرية إلى جانبه في قرطاجة لمساعدته في تطبيق سلطته بها[4].

أما في ما يتعلق بقائد الجيش فإن سلطته و نفوذه قد زاد تدريجيا حيث سمل كل الولايات لدرجة أنى اسمه ان يكتب بمفرده على الأنصاب الميلية التابعة للطرق العسكرية إلى أن

---

[1] عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 105.

[2] Lebohec (Y.), Op.cit., p21, Nicole (S.), Les forum et la vie du forum en Afrique proconsulaire, institut national d archeologie et arts, Tunis, p2

[3] عمار المحجوبي: المرجع السابق، 106.

[4] Leglay(M.), et Tourrenc(S.), Nouvelles inscriptions de timgad sur des légats de la troisième légion Auguste, Ant.Afr, T21, 1985, pp103-136. Benabou (M.), Proconsul et légat en Afrique le témoignage de Tacite », Ant.af N° 6, 1972 p .129

أصبح حاكما على ولاية مستقلة هي ولاية نوميديا في بداية القرن الثالث الميلادي إضافة إلى قيادته للجيش[1].

1-2 مساعدو البروقنصل: إضافة إلى الألقاب السابقة التي كان يحظى بها قادة الجيش في أفريقيا البروقنصلية كان وكيل الامبراطور أي البروكوراطور الذي كان يعين لقيادة جيش القيصرية يحمل لقبا آخر وهو البريفكتيسيم[2] و هي من أعلى الرتب في طبقة الفرسان التي تمكن صاحبها من الحصول على ما لا يقل عن مائتي ألف سيسترس(200000)، حيث تذكر النقوش بأن هناك بعض القادة في جيش القيصرية قد حملوا هذه الرتبة في العهود المتأخرة للامبراطورية.

يبدو أن تعدد الألقاب المذكورة أعلاه تبين عدم وضوح مكانة قائد هذا الفيلق بشكل دقيق و هذا قبل أن يصبح حاكما على ولاية مستقلة منذ نهاية القرن الثاني الميلادي علما أن هذا المنصب قد عرف هو الآخر تطورا ملحوظا من حيث الصف الذي كان ينتقى منه و هذا طبعا تبعا لزيادة مهامه ، فمن عهد الامبراطور أغسطس إلى هادريان كان يختار من صف البرتوريين أو المأمورين الماليين لتكون مكانته أقل من البروقنصل، لكن سرعان ما تغير الوضع بعد منتصف القرن الثاني الميلادي حيث أصبح يعين من صف البرتوريين السابقين ليرتقي بعد توليه لمنصبه إلى رتبة قنصل مباشرة[3].

2: الوحدات الادارية المكونة للمقاطعات الرومانية و جهازها الاداري:

2 ـ 1 الوحدات الإدارية: لقد وجد داخل مقاطعة إفريقيا البروقنصلية ثلاث دوائر حملت أسماء عواصمها وهي دائرة قرطاج، دائرة هيبوريجيوس و دائرة حدرموت، و يبدوا أن تلك الدوائر كانت شبيهة بالولايات القضائية كان البروقنصل يتردد عليها في أوقات معينة من السنة ليترأس جلسات قضائية[4] .

---

[1] عمار المحجوبي: المرجع نفسه، ص 109.

[2] محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل، المرجع السابق، ص104 . Lebohec (Y.), Op.cit., p30-34

[3] محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال، المرجع السابق، ص 104. Benabou (M.), Proconsul et légat en Afrique le témoignage de Tacite », Ant.af N° 6, 1972 p .129

[4] عمار محجوبي: المرجع السابق، 117، محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال، المرجع السابق، ص 82.

أما الأشكال الأخرى للوحدات الادارية التي كانت متواجدة ضمن الولايات فهي البلدية (MUNICIPIA) ، المستعمرة(COLONIA)، و المدينة الأجنبية(CIVITAS PIRIGINI) و سنحاول تعريف كلمنها على حدى، علما أن أساس كل تلك الأشكال من الوحدات كان المدينة التي اعتبرها الرومان رم السلطة بصفتها مركزا إداريا و قضائيا و دينيا هذا فضلا عن كونها مركزا للحياة الاجتماعية يشتى ضروبها، وقد سعت روما عن طريق مسيريها إلى تطبيق قوانين تنظيمها البلدي على المدن التي وجدتها أثناء الاحتلال أو تلك التي قامت بإنشائها غير أن الفوارق بينها كانت واضحة من الهياكل و الصلاحيات و كذلك الحقوق والواجبات وهي مرتبة من أعلى رتبة إلى أدناها[1] كما يلي:

2-1 ـ1 المستعمرة (COLONIA): و هي المدينة التي يتمتع سكانها بحق المواطنة الرومانية كما تتمتع هي بالاستقلالية اداريا عن الولاية الموجودة ضمنها، و توجد نوعان منها مستعمرات أسسها الرومان أنفسهم لإسكان المتقاعدين من الجيش الروماني و التالي المحافظة على أمن المنطقة المحيطة بالمستعمرة و قد أسس العديد منها في افريقيا البروقنصلية نذكر منها سيقا فينيريا(الكاف حاليا)، أودنة، حيدرة و تاموقادي[2] .

أما الصنف الثاني فهي المستعمرة الشرفية(COLONIA HONORAIRE)و معنى ذلك هو ترقية بلدية إلى رتبة مستعمرة بقرار من الامبراطور أو بطلب من أهلها و كانت مدينة هيبوريجيوس أول مدينة صعدت إلى رتبة مستعمرة شرفية في عهد الاسرة الفلافية(69- 96م و تلتها مدن أخرى مثل بولا ريجيا(حمام دراجي حاليا)، زاما، مكثر، لبدة، كالما[3]....

2- 1 ـ 2 البلدية (MUNICIPIA): هي درجة من التطور و الرقي الاداري يمكن أن تصل إليها المدن الأجنبية سواء كانت ذات أصل ليبي أو بوني و هي صنفان: البلدية الرومانية و معناها أن يمنح كل سكانها المواطنة الرومانية أي أن لها نفس الحقوق و الصلاحيات الممنوحة للمستعمرة باستثناء دفع سكانها للضرائب على عقاراتهم. و من بين المدن التي ارتقت إلى هذه الرتبة هيبوريجيوس ، أوتيكا و كان ذلك في عهد أغسطس...

[1] Benabou(M.), La résistances Africaine a la romanisation, Paris, 1976.p.396.

[2] Lepelley(C.), Les cites de l'Afrique Romaine au bas empire, T2, Paris 1981, p.90.

[3] Lepelley(C.),Ibid.p.77, Benabou(M.), Op.cit.p.417-420.

أما النوع الثاني فيطبق فيه على سكانها القانون اللاتيني وهو قانون وسط بين المواطنة الرومانية و الأجانب الذين يمكنهم الحصول على المواطنة تدريجيا، وقد تحصلت العديد من المدن على القانون اللاتيني منذ عهد الاسرة الفلافية مثل ماسكولا(خنشلة)، قفصة ، لبدة و التي حافظت على مؤسساتها المحلية[1].

2 ـ1. 3 المدن الأجنبية(CIVITAS PIRIGINI): بعد دخول الرومان إلى شمال إفريقيا واحتلالهم لها وجدوا إرثا عمرانيا متنوعا ذكرته المصادر الأدبية القديمة كما تم اكتشافه من قبل الأثريين ، حيث الجغرافي بلين أنه كانت توجد في إفريقيا حوالي 516 مجموعة سكانية (قرى و مدن)تخضع لولاية البروقنصلية منها من أسسه الفينيقيون و منها ما هو ذو أصل ليبي نوميدي و لكن روما لم تتركها على حالها (مدنا أجنبية تسير بالطرق البونية) بل عملت على إدخالها تدريجيا في تنظيمها البلدي لتحصل على رتبة بلدية ثم يتم ترقيتها بعد ذلك إلى مستعمرة[2].

3: الجهاز الاداري للبلدات الروماني مكوناته و مهامه: يتكون الجهاز الاداري الذي كان يقوم بتسيير أغلب مدن و بلدات المقاطعات الرومانية باختلاف رتبتها في السلم الاداري الروماني من مجلس الديكوريون و هيئة القضاء البلدي بمختلف أعضائها و سأحاول فيما يلي أن أعرف بكل منهما مع تحديد مهما مهما.

3ـ 1مجلس الديكوريون (Decurionat): يتكون مجلس الديكوريون أو مجلس الشيوخ البلدي من عدد من الأعضاء الذين يتم اختيارهم من كل القضاة البلديين المنتخبين خارج هيئة الأوردو (يقوم التريومفير الخماسيون (IIIvir Quinquennalis) باحصاء عام للمواطنين و لممتلكاتهم لإعداد القائمة التي تضم عشرة مواطنين من ذوي المكانة الرفيعة في كل كورية (دائرة انتخابية) و مجموع هؤلاء هم الذين سيتشكل منهم المجلس التنفيذي لمجلس الديكوريون (الأوردو ديكوريونOrdo Decurionum)[3] و يضاف إلى هذه القائمة أسماء من تولوا في عهد سابقة مهام القضاء البلدي يكونوا في الأخير هيئة الأوردو

[1] Gascou(J.), La politique municipale de l'empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime Sévère, (Rome) 1972.p. 47.

[2] Lepelley(C.),Ibid.p.77.

[3]محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي من استيلاء سيتيوس على سيرتا 46ق.م إلى أحداث القرن الرابع الميلادي،ج1، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2003ـ 2004، ص ص306، 307.

بالإضافة لكل مواطني البلدية أصحاب المكانة الثروة و المكانة الاجتماعية الذين يتم احصاؤهم. بعد الانتهاء من إعداد قائمة الأشخاص المخولين لعضوية مجلس الديكوريون من طرف التريومفير خماسين(IIIvir Quinquennalis) يقومون بالإعلان عن أسماء الذين قبلوا في عضوية المجلس لمدة خمس سنوات(5) ليسجلوا بعدها إما على لوح من الرخام أو البرونز الذي يعرف لدى الباحثين بالألبوم أو السجل الذي يثبت في جدار الفوروم[1].

و الجدير بالذكر أنه لم يتم اكتشاف الكثير من هذه الألبومات في مدن شمال إفريقيا باستثناء ألبوم مدينة تمقاد، يعتبر مجلس الديكوريون الهيئة البلدية الأولى في النظام البلدي داخل المدن فهو الذي ينظر في كل ما يتعلق بالحياة العامة داخلها من بين مهامه المتعلقة بتنظيم الحياة العامة داخل المدن[2] نذكر ما يلي: ينظر في قضايا التجنيد عندما تكون البلدة أو المستعمرة مهددة بالعصيان و الفوضى الشعبية قبل وصول الفرق النظامية، يقوم بتحديد الأماكن المخصصة للاحتفالات الدينية و كل ما يرتبط بها من تقديم القرابين و النذور، يتدخل في تحديد مقدار الضريبة العينية المفروضة على المواطنين يستشار فيما يتعلق بالطرق و الوسائل الممكنة لضمان ميزانية المدينة من خلال اقتراحه لجدول الضرائب العام[3].

كما يقوم بالموافقة على رخص البناء أو الهدم و يحدد أيضا أماكن نصب التماثيل، يقرر المتابعة القضائية أمام السلطة القضائية في حق المدينين للبلدية ، يحدد الرزنامة الخاصة بالاحتفالات السنوية، كما يدلي أيضا برأيه في قضايا اجراءات عتق العبيد و مطابقتها مع القوانين و أخيرا يساعد أعضاء الهيئة التنفيذية (التريومفير في الاتحاد السيرتي أو الديومفير في معظم بلدات شمال إفريقيا الأخرى، الايديليس، الكستور)فيما يتعلق بإدارة المدينة. ، لأنه المسؤول عن اسناد كل المهام و الوظائف الهامة سواء عن طريق الانتخاب أو التعيين[4].

---

[1] محمد العربي عقون: المرجع نفسه، ص 86.

[2] CIL, VIII, 2403, Chastangol (A.), L'album municipal de Timgad, Bonn, 1978, p. 109, pl. XV. Gsell (St), I.L.ALg.,T1 ,235,236, 237,241,245,246,286,287,291, 329,330,465.

[3] محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي،ج1، ص 87، Lepelley(C.),opcit.T1 , pp.199-201.

[4] Lepelley(C.),ibid., p. -201.

و قد منحت له أيضا صلاحيات أخرى بدء من القرن الثاني الميلادي تمثلت في: تعيين التريومفير بالنسبة للاتحاد السيرتي و الديومفير بخصوص باقي بلدات و مستعمرات شمال إفريقيا، الايديليس، الكستور، البرايفكتر يوري ديكوندو علما أن كل هؤلاء كانوا في السابق ينتخبون من قبل جمعيات شعبية، يقوم بتعيين مواطنين من ذوي النفوذ المالي أو النسب كحماة للمدن، كما يقوم أيضا بتعيين موفدين عمومين إلى السلطة الامبراطورية في روما لنقل انشغالات المواطنين بالمدينة أو شكاويهم ضد الموظفين الامبراطوريون إضافة إلى تعيينهم للماجستري فاني و هو رؤساء المجامع الكهنوتية الأجنبية غير الرومانية لرعاية معابدها و طقوسها[1].

نستنتج من كل ما تم تقديمه بخصوص هذه الهيئة أن العضوية فيها تتوقف أساسا على حجم الثروة التي يملكها المترشح و كذا الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، هذا يعني بأن معظم أعضاء هذا المجلس يمثلون بلا شك الطبقة الغنية لذا أسندت لهم كل تلك الوظائف الهامة.

2.3 **هيئة القضاء البلدي(Magistrature municipale):** هو بمثابة الجهاز التنفيذي لمجلس الديكوريون لأن أعضاءه مطالبون بالخضوع لسلطته كما سبق و أشرت هذا فضلا على أن الكثير منهم كان هو من يعينهم، لذا منح القانون الروماني أعضاءه من القضاة (الديومفير، الايديليس، الكستور) السلطة التنفيذية كل حسب المهام الموكلة إليه و سأقوم في ما يأتي بالتعريف بكل مسؤول مع تحديد مهامه[2].

3 ـــ2ـ 1ـ الديومفير: و هما قاضيان حسب ما تدل عليه تسمية مهمتهما الرئيسية رئاسة الهيئة التنفيذية لمدة سنة واحدة قابلة للتجديد لكن بعد انقضاء خمس سنوات على تولي الشخص لها يمكنه أن يتقلد منصبا آخر يشبه في صيغته المنصب السابق و هو الديومفير خماسي المكلف عادة بالقيام بالإحصاء العام و هي وظيفة شرفية[3].

نظرا لأهمية الوظيفتين فقد منحت للديومفير العديد من الصلاحيات أذكر أهمها:

---

[1] Lassere(J.M), Manuel d'épigraphie romaine, vol. 1, Paris, 2007,pp. 351, 352.

[2] محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، ج1، المرجع السابق، ص 104.

[3] توفيق حموم: البنية الاجتماعية و المؤسسات المدنية و الدينية داخل المدن النوميدية تحت الاحتلال الروماني، مجلة المعارف للدراسات و البحوث التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر، ع8، نوفمبر 2016، ص118.

أ- يمكنهما توجيه الدعوة لأعضاء مجلس الديكوريون بغرض الاجتماع والمداولة لإصدار المراسيم أو القرارات الهامة.

ب - يستطيعا إصدار الأمر بالقبض على المجرمين و كذا يمكنهما التحقيق في القضايا المدنية المتعلقة أساسا بقضايا المنازعات الخاصة بالحياة اليومية.

ج - معاينة الموارد البلدية و رئاسة عمليات مراجعة الحسابات المتعلقة بعائدات الخزينة البلدية الاشراف على إعداد القوائم الانتخابية في البلدية و الإعلان عن قوائم الأعضاء المؤهلين لعضوية مجلس الديكوريون[1].

3- 2ـ **2ـ الإديليس:** يتقاسم مهام هذه الوظيفة عضوان يتكفلان بكل ما يخص المرافق العامة داخل المدينة أو البلدة. من بين مهامه نذكر ما يأتي:

أ - ترميم و صيانة المباني العمومية.

ب - ضمان استغلال الحمامات العمومية لصالح خزينة البلدية.

ج - المحافظة على الأمن داخل الأسواق و مراقبة الموازين و المكاييل المستعملة فيها.

د - تنظيم الألعاب و المهرجانات و إعداد ميزانيتها من خزينة البلدية...الخ[2] .

3 -**2ـ 3ـ الكاستور(Quaestor):** و هو المسؤول عن الشؤون المالية و كل ما يتعلق بالخزينة العمومية ،حيث كانت هذه الوظيفة تسند في الغالب للمنتخبين الجدد و أحيانا أخرى تمنح لموظفين سابقين كمنصب تشريفي لهم في نهاية مسارهم المهني و هذا طبعا للاستفادة من خبرتهم الكبيرة في الأمور المالية، إذ يعتبر من يتولى هذا المنصب بمثابة خازن البلدية لأن صاحبه مكلف بتسيير الشؤون المالية للمدينة و إدارة خزينتها العمومية[3] و على هذا الأساس يمكن حصر مهامه فيما يلي:

أ - يقوم بجدولة أموال الواردات و الضرائب المحصلة.

---

[1]محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، ج1،المرجع السابق، ص 120. Lepelley(C.), Op.cit., T1 , p.162, 163

[2]Belkahia Karoui(Th.), Ediles et édilité en Afrique proconsulaire et en Numidie, L'Africa, Romana ,Vol 2, XVII Olbia, Roma 2010 p.p. 1574-1578.

[3]توفيق حموم: المرجع السابق، ص 118، السعيد خاشة: النخب الإدارية و الإجتماعية لمدينة تمقاد خلال الفترة الرومانية أشغال الملتقى الوطني الثالث الأوراس عبر التاريخ يومي 30- 31أفريل 2015، منشورات المتحف العمومي الوطني الإخورة الشهداء بولعزيز، خنشلة، 2015، ص 238.

ب ـ يتولى دفع المستحقات التي يقدم الاديليس قائمة بها.

ج ـ كما قد يكون مسؤولا عن تحرير الأمر بالدفع[1].

3ـ 2ـ 4ـ مفوض الإمبراطور لمراقبة المالية و الخزينة العامة في المدينة(Curator Rei Publicae): يعتبر هذا المنصب ثمرة الاصلاحات التي قام بها الإمبراطور تراجان منذ بداية القرن الثاني الميلادي، حيث قام بعدة إجراءات تخص إدارة الشؤون العامة للإمبراطورية و تسيير الأموال و الخزينة العامة من بينها تعيين مفوض خاص من طرف الإمبراطور نفسه للمراقبة و التسيير المالي للخزينة العامة في إحدى مدن الإمبراطورية(**Curator Civitatis Rei Publicae**)، هذا الأخير الذي يتوجب عليه إيجاد حل لمشاكل التسيير أو أزمات التمويل المالي من الخزينة العمومية التي كانت الإدارة داخل المدن أو القرى تعاني منها. كما أسندت له أيضا مهمة مراقبة وتفحص مشاريع الأشغال العمومية الممونة من طرف خزينة المدينة[2].

و الجدير بالذكر أن مهامه غير محددة بفترة زمنية محدودة بل هي مرتبطة بإدخال الإصلاحات التي كلف بها و نجاحه في إعادة النظام لتسيير الخزينة.

أما بالنسبة لطريقة اختيار من يتولى مهام هذه الوظيفة فقد كانت في الغالب من صلاحيات الإمبراطور نفسه ـ كما سبق و أشرت ـ أعلاه أو ربما باقتراح من مجلس المدينة، لذلك لا بد أن يكون صاحبه من طبقة النبلاء السيناتورية أو الفرسان من المدينة نفسها أو المقاطعة و كما يمكنه أن يكون أيضا من إحدى المدن الكبرى الإيطالية، شريطة أن لا يعين المفوض في مدينته الأصلية القاطن فيها[3].

علما أن صاحب هذا المنصب قد أصبح خلال الفترة المتأخرة للإمبراطورية الرومانية بمثابة المسؤول الأول بالمدينة من خلال زيادة صلاحياته التي تجاوزت مهمة تسوية الأوضاع المالية بها إلى تسيير عدة جوانب هامة من الحياة بالمدينة[4] . وقد أرخت معظم نصوص النقوش الدالة على هذا المنصب بالفترة المتأخرة للاستعمار الروماني في شمال

---

[1] Jacques(F.), La questure municipale dans l'Afrique du Nord romaine, B.C.T.H, n° S., 17 B, p. 211-224, Lepelley(C.),Op.cit., T1, p.164, 165.

[2] Lepelley(C.),Op.cit.,T1,p p.168, 169, 191

[3] توفيق حموم: المرجع السابق، ص 218.

[4] Lepelley(C.),Op.cit., T1,p. 189

إفريقيا و لا أحد منها يعود إلى العصر الذهبي للإمبراطورية الرومانية (عهدي الأسرتين الأنطونية و السيفيرية) على حد تعبير الباحث محند آكلي إخربان[1].

3ـ 2ـ 5ـ الحماة(Patronus): يعود وجود هذا المنصب الشرفي في المدن الرومانية إلى القرن الأول قبل الميلاد (1ق.م)، حيث كان لمجتمعاتها حينها حق اختيار مسؤول عن حماية المدينة، علما أن هناك شروطا معينة يجب مراعاتها في اختيار هذا الأخير أذكر من بينها الثروة المالية و المعرفة الشاملة بالقوانين أو التشريعات الرومانية، هذا فضلا عن تمتعهم بالقدرة على الاقناع بفضل لباقتهم و حسن كلامهم و على هذا الأساس كان أغلب الحماة ينتمون إما للطبقة السيناتورية أو طبقة الفرسان[2].

أما بالنسبة لمهامهم فنظرا للمكانة المرموقة التي يحظى بها هؤلاء المسؤولون عن حماية المدينة كان عليهم أولا أن يحسنوا استغلال مكانتهم الاجتماعية و ما توفره لهم ثروتهم المالية من نفوذ للقيام بمهامهم المتمثلة أساسا في التدخل في حلّ مختلف مشاكل مجتمعاتهم القضائية منها أو الجبائية(الضريبية)، و بالتالي فهم يساهمون بشكل كبير في استقرار المدينة و أمنها. لذلك فقد حظي هؤلاء الحماة حسب ما ورد في النقوش بثقة و دعم سياسي كبيرين من طرف كافة أفراد مجتمعات المدن المسؤولون عليها.

يبدو أن هذا المنصب الشرفي قد بقي موجودا طوال القرون الأربعة الأولى للميلاد التي عرف خلالها تطورا و نضجا بكيفية مستقلة [3].

4ـ الهيئة الدينية مهامها و أعضاؤها: لقد حرصت السلطة الرومانية على نشر دينها في شمال إفريقيا من خلال نص قانونها الذي مزج بين الحصول على المواطنة و اعتناق الحضارة الرومانية بما فيها العقيدة و المعبودات و الطقوس الدينية، و نظرا لأهمية الدين لدى عامة الناس في أي مكان أو عصر كانوا فقد سعت السلطة الإدارية و نظرا لأهمية الدين لدى عامة الناس في أي مكان أو عصر كانوا فقد سعت السلطة الإدارية الرومانية إلى استعمال رجال الدين في بث الولاء و الاستقرار، لهذا كان من الطبيعي أن ينشؤوا إلى جانب الهيئة الإدارية القضائية هيئة دينية تتوفر على عدة وظائف دينية يتدرج فيها

[1] محند آكلي إخربان: المرجع السابق، ص ص 244، 245.

[2] Lepelley(C.), Op.cit., T1 p.193.

[3] Lassere(J.M), Manuel d'épigraphie, Op.cit., p. 316.

الكهنة لبلوغ مراتب أعلى كما يمكنهم بواسطتها أن يحظوا بسامي الوظائف في الإدارة المدنية ويؤثرون بصفة مباشرة في اتخاذ بعض القرارات داخل المجالس المحلية هو ما تدل عليه معظم النقوش التي جمع فيها أصحابها بين مختلف الوظائف ذات الطباعين الإداري القضائي و الدينية داخل المدينة الواحدة[1].

4 ـ 1ــ كهنة عبادة الإمبراطور: كان يوجد في كل بلدية أو مستعمرة رومانية كهنة مكلفون بعبادة الآلة الرسمية الذين كانوا يعينون من قبل مجلس الديكوريون باقتراح من الدوومفير لمدة سنة واحدة مثلهم في ذلك مثل أعضاء الماجيسترا، و قد يختص بعض الكهنة بعبادة الإمبراطور فيحتفظون بمقامهم بعد مزاولتهم لهذه الوظيفة ليلقبوا بالكهنة الدائمون أي مدى الحياة، و على هذه الأساس يصبحوا أعضاء كاملوا الحقوق في مجلس الديكوريون[2].

شكلت مكانة كاهن الطقوس الرسمية الإمبراطورية داخل المجتمع الديني و المدني للمدينة أو للمقاطعة نقطة خلاف لدى بعض المؤرخين و هذا لصعوبة دراسة الكيفية التي كانوا يعينون بها نظرا لعدم وجود قانون شامل في هذا الموضوع الأمر الذي جعل منه الموضوع الأساسي لعدة دراسات و نظريات منذ القرن السابق.

في المقابل رأى بعض الباحثين الآخرين بأن البحث في هذه الاشكالية لا يقدم سوى نتائج نسبية لأنها تعتمد أساسا على تعدد و اختلافات الكتابات و النصوص التي تختلف من مكان لآخر و من كاهن إلى آخر على الرغم من أن السلّم الكهنوتي مستقلّ عن السلم المدني، و مع ذلك فوظيفة الكاهن الدائم يصل إليها صاحبها بعد أن يتولى مهاما سامية في سلك القضاء البلدي، و هذا دليل على أن الكاهن الدائم(Flamine PP) هي وظيفة كهنوتية و رتبة عليا في هذا السلم المهني الديني[3].

يتمتع صاحب هذه الوظيفة الدينية بعدة صلاحيات نذكر منها حق التصويت شفويا مثل باقي أعضاء الديكوريون ، يقدم القربان و في صحبته من يحرسه من أعضاء الهيئة

---

[1] توفيق حموم: النخب الإدارية و الاجتماعية للكنفيدرالية السيرتوية، المرجع السابق، ص 23.، محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي ج1، المرجع السابق، ص 159.

[2] محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، ج1، المرجع نفسه، ص 163.

[3] توفيق حموم: النخب الإدارية و الاجتماعية للكنفيدرالية السيرتوية ، المرجع السابق، ص ص 28، 29.

البلدية يكون رفقة أعضاء الديكوريون في المهرجانات العمومية حيث يخصص له مكان في الصف الأول خلال للعروض و المشاهدة[1].

4 ـ 2 الأحبار أو الرهبان(Pontifex): يختلف كهنوت الأحبار عن سابقيهم من الكهنة الدائمين في تعلقهم بعبادة كل المعبودات المشكلة للديانة الرومانية دون استثناء بما فيهم عبادة الإمبراطور ذاته. علما أن السلطة الدينية للأحبار و مكانتهم الكبيرة جعلتهم في أعلى هرم السلك الديني البلدي داخل المدينة الرومانية الذي كان يترأسه في بادئ الأمر الحبر الأعلى(**Pontifex maximus**).

إن ظهور عبادة الامبراطور حولت هذه المكانة إلى الامبراطور نفسه الذي أصبح هو الحبر الأعلى، لهذا حظي ممثله في البلديات و هو الفلامين (كاهن الامبراطور) بالمقام الأول على رأس كل الرتب الكهنوتية التي كانت سابقا من نصيب رئيس مجمع الأحبار (الحبر الأعلى) هذا الأخير الذي تقلصت صلاحياته و أصبح مجرد حبر بسيط مع العلم أن باقي الصلاحيات لم تلغ تماما بل بقي أحبار هذه الهيئة يمارسون العديد من المهام الهامة لأنهم في الحقيقة مرتبطون كما أسلفت بكل الشعائر و الطقوس الخاصة بكل المعبودات الرومانية[2].

4 ـ 4 العرافون: العراف يختلف عن الكاهن أو الكهنوت فهو عضو في هيئة تحت قيادة رئيس مجمع العرافين(Magister Augurum) هذا الأخير الذي يعمل تحت إمرة مجمع الرهبان الذي يسيره في كل أعماله، كما يقوم العرّاف بمساعدة الرهبان في شتّى مهامهم بمثابة أحد الأعوان المباشرين[3].

4ـ5 كهنوت الآلهة الوثنية الرسمية(Sacerdos): و هو غير مختلف عن مفهوم الكاهن(Flamen) لكنه يكرس لأداء طقوس أحد آلهة روما المعترف بهم، مهمته الرئيسية الحفاظ على طقوسه ضمن المجتمع الديني و المدني، حيث يرى الباحث توفيق حموم بأن الفرق بين الكهنوت(Sacerdos) و الكاهن(Flamen) يكمن في نوعية الوظيفة حيث اختصت الأولى بطقوس الآلهة الوثنية بينما هتمت الثانية بطقوس الأباطرة

[1] محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، ج1، المرجع السابق، ص 160.

[2] محمد العربي العقون: الاتحاد السيرتي،ج 1، المرجع السابق، ص 160.

[3] توفيق حموم: النخب الإدارية و الاجتماعية للكنفيدرالية السيرتوية، المرجع السابق، ص27.

المؤلهين أي عبادة الأباطرة ـ كما سبق و أسلفت ـ مع العلم أن كلا الوظيفتين موجودتان في سلم الوظائف الإدارية و الدينية للبلدية، و يمكن التعرف على الرتبة الكهنوتية ومهامها بواسطة التسميات و الألقاب التي تلي عبارة كهنوت (Sacerdos)[1].

4ـ6ـ كهنة و كهنوت المقاطعة الإفريقية(Flaminae, Sacerdos provinciae) :هم من أهم رجال الدين الذين كانوا في بداية الأمر يقومون بكل الطقوس المخصصة لعبادة روح مدينة روما لكنها سرعان ما تداخلت مهامهم مع طقوس الإمبراطور المؤله، لذا أصبحت تخضع مباشرة لتسيير و توجيهات الإمبراطور و باقي المؤسسات السياسية في الدولة، الأمر الذي جعل أعضاء هذه الهيئة يقومون بكل المهام المنوطة بهم بكل حرية لأن خضوعهم المباشر للسلطات المركزية لم يسمح بوجود قوانين أو أنظمة موحدة تضبط كيفية تنظيمها في كلّ المقاطعات.

يتم تشكيل هذه الهيئة على الأغلب عن طريق انتخاب أعضائها من ضمن كهنة المدن و البلديات التي ينتمون إليها لتمثيلها في التجمع السنوي الذي يقام عادة في عاصمة الإقليم قرطاج ، شريطة أن يكونوا قد أتمّوا كل السلّم الشرفي للمهام السياسية والمدنية الذي تدل عليه عبارة(Omnibus Honoribus Functus)[2].

[1] توفيق حموم: المرجع نفسه، ص ص 25، 30.

[2]توفيق حموم: كهنة وكهنوت العهد الإمبراطوري الأول في شمال إفريقيا من خلال الكتابات اللاتينية، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999، ص194. Hirschfeld(O.), I Sacerdozi dei municipi romani nell'Africa, Annali dell'Istituto di correspondeza Archeologica , XXXVIII, 1866, pp. 47-58.

المحور الثاني: الموروث الحضاري للاحتلال الروماني.

المحاضرة الرابعة: مظاهر رومنة المعتقداتالافريقية و أفرقة المعبودات الرومانية.

المحاضرة الخامسة: تطور المدينة النوميدية و بعض متهر رومنتها.

أولا: مظاهر رومنة المعتقدات الافريقية و أفرقة المعتقدات و المعبودات الرومانية

1 : المعتقدات الافريقية بين الرومنة و الصمود:

1ـ1 أهم المعبودات و الآلهة المحلية الكبرى: و أقصد بها تلك المقدسات و الآلهة المحلية التي حظيت بتقديس و عبادة معظم السكان المحليين أي أن عبادتها عرفت انتشارا واسعا لدى المحليين البسطاء و المرومنين منهم أذكر من بينها:

1ـ1ـ1 الإله ساتورن (Saturne): يجمع الباحثون على أن الاله ساتورن هو نفسه الاله بعل حمون[1] الذي تم تغير اسمه من هذا الأخير إلى الأول حسب ما اقتضته شروط الترجمة إلى اللغة اللاتينية لكنه بقي محافظا على كل وظائفه السابقة كمعبود شمسي حامي للنشاط الزراعي[2] لذلك أطلقوا عليه اسم ساتورن الأفريقي[3].

يعتقد بعض الباحثين أن مطابقة الاله ساتورن الأفريقي مع نظيره الروماني لم تكن جديدة بل حدث و أن طوبق هذا الاله باسمه القديم آمون مع نظيره الفينيقي بعل حمون غير أن تشابه الوظائف المسندة لكل منهما لم تمنع من وجود بعض الخصوصيات التي كان كل واحد منهما يتمتع بها.

فقد كان الاله البوني بعل حمون مثلا متعطشا للدماء البشرية التي كانت تقدم له كقرابين في البداية[4] لكن السكان المحليين لم يكونوا يقدمون لإلههم آمون أضاحي بشرية

---

[1] Bullo(S.), La dea ops nel panthéon Romano- Africano, L. C.T., N178, 1997, éd., Alpha, Tunis, 2001, p. 42, France (J.), L'Afrique Romaine des flavienes aux vandales ,le christianisme en Afrique romaine, concours 2005-2006. Université Michel de Montaigne Bordeaux 3, p. 1.

[2] لقد ذكرت الكثير من نصوص النقوش المكتشفة في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية الاله ساتورن كحامي للمستثمرات الزراعية بها: ينظر Kaabia(R.), Epitheta deorum et richesse agricole en Afrique , Afri-Rom., XVII, Sevilla, 2006, Roma 2008, pp. 291-306.

[3] Leglay (M.), Saturne Africain, Monument, T. I, p 5, Le Paganisme en Numidie et dans les Maurétanies sous l'empire Romain, Etat des recherches entre 1954 et 1990, Ant. Afr.,T 42, 2006, p. 74. Ben Abid (L.), Le culte du Soleil dans les provinces romaines d'Afrique, Afri. Rom., XIX, Sassari 2010, Roma 2012, pp., 2335.

[4] Bullo(S.), Op-cit., p 48, 50.

وعليه فقد كان الأفارقة يعبدون هذا الإله بلمستهم الخاصة الأمر نفسه الذي حدث بعد الاستعمار الروماني للمنطقة، حيث تمت مطابقة هذا الاله ثانية مع الإله الروماني و هذا طبعا لتوافقهما في مختلف المهام المنوطة بهما مع استمرار السكان المحليين في أداء الطقوس الخاصة به كما في السابق[1].

كما تجدر بي الإشارة أيضا إلى استمرارية استعمال السكان المحليين لكل الرموز الدالة على هذا الإله حتى بعد مرور أكثر من قرنين على استعمار الرومان للمنطقة و الدليل على ذلك تأريخ الكثير من الأنصاب البونية النذرية خاصة سواء ذات المشاهد التصويرية أو الحاملة لكتابات بونية و بونية جديدة بالقرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد[2].

لذا أعتقد أن إطلاق المؤرخين المحدثين و المعاصرين على هذا الإله اسم ساتورن الأفريقي لم يكن اعتباطا بل كانت محاولة منهم لتفادي الاستمرارية في استعمال اسم بعل آمون الذي بقي مستعملا من قبل السكان المحليين كما سبق و أشرت حتى في عز انتشار الثقافة اللاتينية في المنطقة.

تدل مضامين نصوص الشواهد الأثرية المتمثلة أساسا في الأنصاب النذرية سواء الحاملة للكتابة البونية والبونية الجديدة أو اللاتينية المكتشفة في معظم مناطق الاقليم المدروس على أن تلك الاهداءات أقيمت خصيصا على شرف الاله بعل حمون في اللغة البونية و ساتورن في اللغة اللاتينية، التي لا يزال متحف المسرح الروماني بقالمة يحتفظ بعدد معتبر منها. لكن على الرغم من هذا فإن المعبد المخصص لبعل آمون لم يكتشف بعد بالمنطقة مما دفع بعض الباحثين للاعتقاد أن معبد الاله ساتورن هو استمرارية للفضاء البوني المقدس الذي كان مخصصا للإله بعل أمون في الفترة السابقة[3].

1ـ1ـ 2 الإلهة كايليستيس(Caelestis): هي ذاتها الإلهة القرطاحية تانيت التي تغير هي الأخرى اسمها في اللغة اللاتينية إلى كايليستيس، مع العلم أنها حافظت على وظيفتها الأساسية كإلهة للخصب، الزواج و الأمومة، اقترن اسمها باسم الاله ساتورن

[1] محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، ج1، المرجع السابق، ص 386.

[2]Leglay (M.), Steles a Saturne dAin Gassa(Tunis), L.C.T., N44, 1963, Tunis, p. 63-68 PL., I, .

[3] Leglay (M.),Saturne Africain, Monument, T.I, pp. 386-414.

كزوجة وعشيقة له[1]. تجاوزت عبادتها المجال الافريقي حيث عرفت انتشارا واسعا في كل من داسيا، بريطانيا، بلاد الغال، جرمانيا و غيرها[2].

1 ـ 2ـ أهم المعبودات و الآلهة المحلية الصغرى: و أقصد بها تلك الآلهة التي لم تعرف عبادتها انتشارا واسعا بين سكان الاقليم المدروس و أخص بالذكر الإلهين بعل إدير وبكاكس.

1ـ 2 ـ 1ـ الإله بعل إيدير(Baldir): و هو في اعتقادي من الآلهة البونية التي تحمل أسماء مركبة من اسم الإله الفينيقي بعل و أسماء لآلهة ليبية كآمون و إدير. اعتبر هذا الإله في نظر الكثير من الباحثين إلها بونيا شبيها بالإله بعل حمون لارتباطه بالأرض وعالم الفلاحة بينما شبهه آخرون بالإله الروماني مارس مغيرين بذلك وظيفته إلى عالم الحروب كإله عسكري[3]، في حين رأى البعض منهم بأن لا علاقة له بأي من الإلهين المذكورين سابقا[4].

وردت تسمية هذا الإله مرة واحدة على مذبح اكتشف بقلعة بوالصبع قام بتقديمه أحد العبيد العموميين اسمه ماكيدو ـ كما سبق و أشرت في المبحث الخاص بالعبيدـ مفتتحا نقشه بعبارة (Baldir Augusto sacrum)[5].

1ـ2ـ 2 الإله بكاكس(Baccax) : ارتبطت عبادة هذا ـ كما سبق و أشرت في المبحث الأخير من الفصل الثامن ـ بتقديس المغارات و الكهوف، حيث ورد اسمه في العديد من النقوش التي لاتزال إلى اليوم عند مدخل مغارة جبل طاية في قرية بوحمدان

---

[1] Leglay (M.), Le Paganisme en Numidie, Op.cit., p. 74, 75, Fantar (M.H), Decret (F.), L'Afrique du nord dans l'antiquité, Paris, 1981, p. 271-274, Bullo(S.), Op-cit., p.51.

محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي، ج1،المرجع السابق، ص 389.

[2] محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لاقليم قالمة القديمة، المرجع السابق، ص263.

[3] Lengrand (D.) Les inscriptions votives païennes des esclaves et des affranchis d'Afrique du Nord romain, Afr. Rom., 1996, p., 962.

محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لإقليم قالمة، المرجع السابق، ص 254.

[4] اصطيفان أكصيل: تاريخ إفريقيا الشمالية القديم، ج6، المرجع السابق، ص 131.

[5]Gsell (St.), I.L.ALg., T1, 445.

حاليا[1]، كما تجدر بي الاشارة أيضا إلى ذلك التمثال الحجري لرأس معبود نوميدي الذي عثر عليه بمنطقة الركنية هذا الأخير الذي اعتقد الباحثون بأنه من الممكن أن يكون للإله المحلي بكاكس[2]. ظهر اسم الإله بكاكس العظيم المقدس على حوالي اثنين و سبعون نقشا لاتينيا عثر عليهم بمغارة جبل طاية[3].

كما ظهر اسمه أيضا على ثلاث مذابح واحد لعراف من تيبيليس و الثاني لشخصين شغلا منصب الدوومفير بها هما ماركوس(Marcus) وتمرسا(Temersa)، بينما الثالث فهو أيضا لثلاثة كهنة من تبيليس هم بوبيليوس أفيديانوس(Bubilius Afidainus) وبليريكوس(Blиricus) و كوكيليا كقسيما(coecilia Magsima)[4].

لقد استغرب الباحث محمد العربي عقون من عدم مطابقة اسم هذا الإله المحلي باسم إله آخر روماني يساويه في الصلاحيات و النفوذ على غرار ما حدث مع الإلهين السابق ذكرهما[5]. أعتقد أن السبب الذي جعل الرومان لم يقوموا بإطلاق اسم لاتيني على هذا الإله هو عدم شمولية عبادة هذا الإله الذي لم يظهر اسمه بشكل كبير على النقوش إلا في هذه المنطقة، علما أنه عثر عليه كاسم لشخص يدعى بكاكس(Baquaxs) على احدى النقوش المكتشفة بمدينة بجاية التابعة لإقليم موريطانيا القيصرية[6].

2: أهم المعبودات و الآلهة الأجنبية: على الرغم من انتشار عبادة الآلهة المحلية وتمسك السكان بها إلا أنه ظهرت و انتشرت فيما بينهم أيضا عبادة الكثير من الآلهة الأجنبية سواء كانت رومانية أو من باقي مناطق العالم القديم و هي مقسمة إلى مجموعتين لآلهة رئيسية تمثل المعبد الرئيسي الكابيتول و آلهة ثانوية لا تقل أهمية عن الاولى في تأثر على جميع مناحي الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية لجميع أفراد المجتمع ، بالإضافة لتلك المعبودات التي ارتبطت ببعض الأشخاص

---

[1]Alquier(J. P), Opcit, N16, p 149, Gascou(J.), Pagus et castellum dans, op.cit, p 182. Kaabia(R.), Op-cit., pp.188.

[2] محمد البشير شنيتي: لمحة عن التحريات الأثرية بنوميديا الشمالية، المرجع السابق، ص 10.

[3] Gsell (St.), I.L.ALg., T2, 4502-4574.

[4]Papier (A.), Hammam – Maskhoutine, Op.cit., p. 111.

[5] الإتحاد السيرتي، ج1، المرجع السابق، ص 391.

[6] CIL, VIII, 20702, 311 حياة بوسليماني: المرجع السابق، ص

كالامبراطور أو بماهر الكون و الطبيعة المختلفة و سنتناول فيما يأتي البعض منها بالدراسة:

2 ـ 1آلهة الثالوث الكابيتولي: هم الآلهة الثلاثة جوبيتير، جونو و مينرفا الذين نجدهم عادة في المعبد الرئيسي(الكابيتول) لأي مدينة رومانية[1]، يرى بعض الباحثين أن اقبال السكان المحليين على عبادتهم قد يدل على ولائهم للدولة الرومانية و تقبلهم لمختلف مظاهر الرومنة التي تدل عليها الحياة البلدية و الحضرية[2].

2ـ1ـ1 الإله جوبيتير(Jupiter): هو كبير الآلهة الرومانية يماثل الإله زوس الإغريقي الذي عبد كإله لليل، النهار و السماء بكل ماكن يحدث فيها من ظواهر طبيعية عموما كالمطر، رعد، البرق و صاعقة، الأمر الذي جعل معظم الناس يتضرعون إليه في فترات الجفاف بغرض الحصول على مطر و يحتفلون به عند الحصاد. يحافظ على صلة الرحم و يحمي المدن وينصر الجيوش[3].

ظهر في الكثير من النماذج الفنية بملامح الإله الإغريقي زوس الذي كانت تقاسيم وجهه تحمل الكثير من المعاني الدالة على القوة و الحكمة، الهدوء و الطبية، كما دلت عليه أيضا تلك العبارات التي تكرر وجودها على النقوش مثل (Iovi Optimo Maximo) التي تعني جوبيتير الطيب الأعظم. إن تطابق وظائف هذا الإله مع نظيره الإغريقي لم تمنع وجود شخصية ثالثة له في شمال إفريقيا، حيث يرى المؤرخون أنه عبد في المنطقة بشخصيتين جوبيتير الروماني و جوبيتير الأفريقي[4].

---

[1] عمار المحجوبي: ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السيفيري(146ق.م ـ 235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص 145.

[2] Mansouri (Kh.), Le Paganisme dans les colonies de la confédération cirtéenne à travers épigraphies, Afr. Rom 16, Vol 3, 2004, p.1770. .335 حياة بوسليماني: المرجع السابق، ص

[3]Grimal (P.), Dictionnaire de la Mythologie Grecque et Romaine, Paris 1990, p.244.

[4]Mansouri (Kh.), Le Paganisme dans les colonies, Op.cit., p.,1768 ., Benabou (M.), Op.cit., p. 334. .335 حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص

كما يظهر اسمه في بعض النقوش مقترنا مع اسم الإله ساتورن ضمن العبارة التالية(Iovi Optimo Maximo Saturmo Augusto)[1]، أعتقد أن هذه الازدواجية ناتجة عن تقارب وظائف الإلهين معا.

و لعل المقصود على ما أعتقد من هذا كله هو ذلك الاختلاف في طريقة العبادة أي كيفية أداء الطقوس المقدمة سواء من قبل الرومان أو السكان المحليين الذين نراهم في كل مرة يضعون بصمتهم الخاصة كما سلف و أشرت سابقا.

يوجد بمتحف المسرح الروماني قالمة نصف تمثال لهذا الإله عثر عليه بمدينة خميسة و هو في حالة حفظ حسنة(ينظر الصورة الموالية).

صورة لنصف تمثال للإله جوبيتير محفوظ بمتحف المسرح الروماني قالمة .

2ـ1 ـ 2 الإلهة جونو (Juno): و هي ثاني إلهة في مجمع آلهة المعبد الرئيسي تطابق من حيث وظيفتها الإلهة هيرا عند الإغريق، تظهر مع الإله جوبيتير على أنها زوجته[2] أوكلت لها مجموعة من الوظائف حماية النساء خاصة المتزوجات خصوصا الحوامل منهن وكذلك اللواتي كن مصابات بالعقم[3]. مع العلم أن عبادتها لم تعرف انتشارا واسعا في شمال إفريقيا، لأنها غالبا ما جسدت في هيئة الإلهة المحلية كايليستيس[4]، و

[1]Gsell (St.), I.L.ALg., T1, 3518.

[2] عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 145، محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني، المرجع السابق،ص 122.

[3] Richepin (J.), Nouvelle mythologie illustrée, t.1, Paris, 1923, p.68

[4] Leglay (M.), Le Paganisme en Numidie , Op.cit., p.59, France(J.), Op.cit., p. 1.

السبب حسب رأي هو تطابق وظائف هذه الأخيرة مع الأولى مع استمرارية السكان المحليين في التمسك بعبادة آلهتهم المحلية و ممارسة كل الطقوس المتعلقة بها حتى على الآلهة أجنبية عنهم. لقد عثر أيضا على رأس تمثال لامرأة يعتقد أنه للإلهة جونو بمنطقة مداوروش هو محفوظ حاليا بمتحف المسرح الروماني قالمة(ينظر الصورة موالية).

صورة تمثل رأس تمثال لامرأة ربما هي الإلهة جونو محفوظ حاليا بمتحف المسرح الروماني قالمة.

2ـ 1ـ3 الإلهة مينرفا(Minerva): و هي ثمرة زواج الإله جوبيتير مع الإلهة جونو عبدت على أنها إلهة للحكمة و العقل[1]، حامية للعلوم و الفنانين، كما طوبقت أيضا مع نظيرتها الإغريقية أثينا فأخذت مميزاتها لتصبح بذلك إلهة للحرب و السياسة، كما عبدت أيضا كإلهة للطب على أساس كونها إلهة للحكمة، كانت تصور غالبا على أنها امرأة بسيطة ذات ملامح هادئة و رزينة تضع في بعض الأحيان على رأسها خوذة وتحمل بيدها رمحا قصيرا وباليد الأخرى تحمل ذرعا[2]. و الجدير بالذكر أن هذه الإلهة أيضا لم تعرف عبادتها انتشارا واسعا في شمال إفريقيا[3].

محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني، المرجع السابق، ص ص 122، 123، حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص 335.

[1] عما المحجوبي: المرجع السابق، ص 145.

[2] محمد الصغير غانم: ملامح الفكر الديني، المرجع السابق، ص 119، حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص 336.

[3] Leglay (M.), Le Paganisme en Numidie, Op.cit., p.59

2-2- أشهر الآلهة الرومانية الأخرى: و نقصد بها الصنف الثاني من الآلهة الاجنبية و المتمثل في الآلهة الثانوية أذكر منها: اسكولابيوس ، هركليس، ماركور، باخوس، نيبتون.

2-2-1 الإله اسكولابيوس(Aesculapius): و هو إله للصحة و الطب في الميثولوجيا الإغريقية، نتج عن زواج الإله أبولون(Apollon) بالإلهة كورونيس(Coronis) انتقلت عبادته إلى روما مع تغيير طفيف في الاسم من اسكليبيوس الإغريقي (Aesclepios) إلى اسكولابيوس الروماني(Aesculapius)، و يرجع هذا حسب رأي إلى الاختلاف في النطق أو حسب ما تقتضيه ترجمة الاسم. بينما عرف عند الفينيقيين باسم آخر تماما هو الإله أشمون مع احتفاظه بنفس وظيفته الأولى[1].

أما بالنسبة لشمال إفريقيا فقد طرحت العديد من التساؤلات و الفرضيات بشأن أصله لكن الأرجح بخصوص أصل اسكولابيوس الأفريقي هو أشمون القرطاجي مراعاة للترتيب الحضاري في المنطقة. علما أن عبادة هذا الإله قد عرفت انتشارا كبيرا في أوساط جنود الفيلق الأغسطسي الثالث المتواجد بشكل كبير في مقاطعة نوميديا[2].

---

[1] Lavedan (p.), Dictionnaire illustré de la mythologie et des antiquités grecques et romaines, Paris, ، محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية، المرجع السابق، ص 258، .115 ,.p ,1931، محمد الصغير غانم: ملامح الفكر الديني، المرجع السابق، ص 114، عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 147.

[2] Ben Zina (Z.), Documents épigraphiques relatifes au culte d Aesculape Africain, Mémoire de maitrise, Universite des langues et lettres de grenoble, 1972 -1973, pp.73- 90 . Leglay (M.), Le Paganisme en Numidie Op.cit., p.59, Benseddik (N.), Esculape et Hygieen Afrique : Classicisme et originalité, Ant. Afri., T33, 1997, pp.143-154., Benseddik (N.), Esculape , Hygie et la III Légion Auguste, LAfri., Rom., XV, Tozeur 2002, Roma 2004, pp. 1365-1372.

صورة لتمثال الإله اسكولابيوس المحفوظ بحديقة متحف المسرح الروماني قالمة.

2ـ 2ـ 2الإله هرقل(Hercule): هو من بين الآلهة الإغريقية التي دخلت على الثقافة الدينية الرومانية واحتفظت بأسمائها بالرغم من وجود بعض الاختلافات الطفيفة التي تقتضيها طريقة النطق ـ كما سبق و أشرت ـ. كان هرقل يشخص القوة، الشجاعة ويضمن لمخلصيه الحياة الأبدية السعيدة. و على هذا الأساس تقمص بعض أباطرة روما شخصيته أذكر منهم نيرون، كومود ليصبح بذلك رمزا للإمبراطورية و إلها حربيا[1].

صورة لرأس تمثال الإله هرقل مكتشفة بكالما[2].

[1] ابراهيم بورحلي: مستعمرة مداوروس و إقليمها الترابي، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في الآثار القديمة، معهد الآثار جامعة بوزريعة، 2009ـ 2010، ص ص 197ـ198.

[2]De Pachetere(F.G.), Op-cit., PL VI , Fig4.

2ـ2ـ3 الإله ماركور(Mercure): و هو إله التجارة عند الرومان الذين اشتقوا اسمه من كلمة ماركس(Merx) التي تعني البضائع، في حين عرف عند الإغريق باسم مخالف تماما هو الإله هرماس(Hermes) هذا الأخير الذي كان مسؤولا عن التجار والمسافرين من جهة و رسولا للآلهة من جهة أخرى[1]، و بعد مطابقة الإلهين معا تم المزج بين كل تلك الوظائف الموكلة لهما. يظهر هذا الإله في صورة شاب غير ملتحي نحيف الجسم، وسيم المظهر يرتدي خوذة على رأسه و خفين مجنحين بقدميه، يحمل بيده اليمنى صرة تدل على المعاملات التجارية، بينما يظهر في يساره الصولجان الذي يرمز للعصى الذهبية السحرية التي ورثها عن الإله الإغريقي، كانت ترافقه السلحفاة والكبش و الديك كتوابع له[2].

بينما ظهر في شمال إفريقيا بشخصية ثالثة عرفت عند المؤرخين بماركور الإفريقي الذي اقترن اسمه باسم إله آخر هو سيلفانوس المسؤول عن حماية الأشجار والغابات خاصة أشجار الزيتون، لذا جمع الإله ماركورـ سيلفانوس بين وظيفة حماية المسافرين عموما بما فيهم التجار و حماية الأشجار و معاصر الزيتون المنتشرة في معظم أرياف المنطقة[3].

---

[1] عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 145، محمد الصغير غانم: ملامح الفكر الديني، المرجع السابق، ص 121.

[2]Leglay(M.), Inscriptions Inédites de Lambèse se rapportant au culte de Mercure, dans, B.C.T.H., 1967, pp. 273-281, Mansouri (Kh.), Le Paganisme dans les colonies, Op.cit., p.1772. ابراهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 194 ، حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص 337.

[3]Bel Faida(A.), Le culte de Silvain en Afrique romaine: témoignages épigraphiques, LAfri. Rom, XV, Tozeur 2002, Roma 2004, pp. 1345-1346.

محمد الصغير غانم: ملامح الفكر الديني، المرجع السابق، ص 122، ابراهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 194،حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص 337.

صورة لتمثال الإله سيفانوس المكتشف بتيبيليس[1].

2ـ2ـ4 الإله لبير بتر (Leber Pater): عرف هذا الإله بعدة تسميات هي ليبير(Leber) ليبير بتر، بخوس(Bacchus)، علما أن هذه الأخير هي الأكثر تداولا بين المؤرخين خاصة المختصين منهم، ربما لقربها من اسمه عند الإغريق (Bacchos) و هو الاسم الثاني للإله ديونيسوس(Dionysos) الذي كان يعبد كإله للخمر، الكروم و حامي للمعاصر[2].

عرفت عبادة هذا الإله انتشارا واسعا في شمال إفريقيا خلال فترة الاستعمار الروماني كما تشهد على ذلك العديد من لوحات الفسيفساء و كذا نصوص النقوش اللاتينية المكتشفة في كثير من المواقع أذكر منها مدينة توبرسكو نوميداروم(خميسة)، مستعمرة مدوروس، و مع ذلك فلم تكن عبادته عامة كبقية الآلهة بل اقتصرت على الراغبين في تعلم العبادات السرية و الغامضة هذه الأخيرة التي كانت تقام عادة في أماكن ذات طابع سري تتعلق فقط بأتباع مطلعين(Les adeptes inities) على هذا النوع من العبادات[3].

2ـ 2ـ 5الإله نيبتون(Neptun): إله روماني كان يعبد بصفته إله للماء العذب المتواجد في الينابيع و النافورات و الأنهار، لكنه سرعان ما دمج في الإله الإغريقي

[1]Gsell (St.) et Joly(C.A.), Op.cit, p. 88, Fig25.

[2] عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 145، محمد الصغير غانم: ملامح الفكر الديني، المرجع السابق،ص 125، ابراهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 195.

[3] نفسه، ص 196، محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لإقليم قالمة القديمة، المرجع السابق، ص 261.

بوسيديون (Poseidon) ليعبد بعدها كإله البحار[1]، و على هذا الأساس اقترح الباحثون أن يكون هذا الإله قد عبد في شمال إفريقيا بالصفتين معا. حيث انتشرت عبادته كإله للبحار في المناطق الساحلية، في حين عبد في المناطق الداخلية كإله للينابيع و المياه الجارية[2].

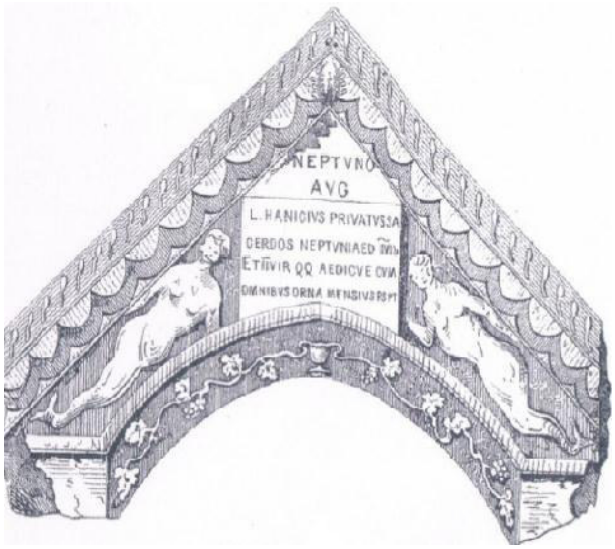

نقيشة للإله نيبتون مع صورتين له[3].

2 ــ 2ـ6 الإلهة تيلوس أو تير متر(Tellus, Terra Mater): إلهة رومانية عبدة بصفتها إلهة للأرض، تم دمجها في الميثولوجيا الرومانية مع إلهة رومانية أخرى تدعى كيريس(Cérès) المسؤولة عن حامية الخصوبة الزراعية، تتطابق هذه الأخيرة مع الإلهة قايا الإغريقية[4](Gaia). يرى البعض أن هذه الإلهة دخلت إلى إفريقيا قبل مجيء الرومان حيث جلبها القرطاجيون بعد عودتهم من حصار سيرقوستة سنة 396ق.م وقيامهم بتخريب و نهب معبد هذه الإلهة هناك قاموا ببناء معبد لها في قرطاجة تفاديا لغضبها[5]

[1] عمار المحجوبي: المرجع السابق، ص 145، محمد الصغير غانم: ملامح الفكر الديني، المرجع السابق، ص 126.

[2]Toutain(J.), Les cultes païens dans l'Empire romain, Paris, 1917, p 372-374.

[3]Grellois(E.), Op-cit., PL IV, Gsell (St.), I.L.ALg., T1. 184.

[4]Gsell (St.) et Joly(C.A.), Op-cit, p. 41, Bel faida (A.), Le culte de la fertilité en Afrique romaine Tellus- Terra Mater, L.A.R., XVII, Sevilla 2006, Roma 2008, p183.

[5]محمد الصغير غانم: ملامح الفكر الديني، المرجع السابق،ص 129، ابراهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 200.

في حين يرى البعض الآخر أن لهذه الإلهة شخصية محلية عبدت من خلالها لكن للأسف اسمها المحلي مجهول بسبب المطابقة بالأسماء اللاتينية على حد تعبير أحدهم[1].

ظهرت عبادة هذه الإلهة على بعض النقوش سواء بعد دمجها مع إلهة أخرى مثلما وجد اسمها إلى جانب اسم إلهة محلية تدعى قيلفا(Gilva) على نقش اكتشف بكالما [2] أو بمفردها كما هو حال النقوش المكتشفة بتيبيليس[3]. و من بين الأدلة المادية الأخرى الدالة على انتشار عبادة هذه الإلهة هو ذلك التمثال المحفوظ بمتحف المسرح الروماني قالمة والمكتشف بمدينة تيبيليس[4] الذي تظهر فيه على هيئة امرأة واقفة لكن مع الأسف أن التمثال من دون رأسه و بالتالي لم أتمكن من معرفة ملامح وجه هذه الإلهة

صورة تمثال مبتور الرأس للإلهة كيريس في هيئة امرأة محفوظ بمتحف المسرح الروماني قالمة.

2 ـ2 ـ7 الإله بلوتون: عرف هذا الإله في الميثولوجيا الإغريقية تحت اسم بلوتوس (Ploutos) الذي يعني الغنى و الثروة[5]، كما عرف أيضا باسم هادس(Hades) المسؤول عن عالم الأموات و سيدا للجحيم، ليجمع بذلك بين وظيفتين هامتين هما

[1] محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي،ج1، المرجع السابق، ص 390.

[2] Gsell (St.), I.L.ALg., T1, 232, Bel faida (A.), Le culte de la fertilite Op.cit.,, p186.

اصطيفان أكصيل : تاريخ افريقيا الشمالية القديم، ج5، المرجع السابق، ص 224.

[3]Gsell (St.), I.L.ALg., T2, 4646, 4647, Ducroux(S.), Op-cit N2016, p 24, Bel faida (A.), Le culte de la fertilite , Op.cit., p.192.

[4] Gsell (S.) et Joly (Ch-A.), Op-cit., p.75-76, fig. 20, De Pachtère (F.-G), Op-cit, p. 50-51, PL. X, fig.3.

[5] محمد الصغير غانم: ملامح الفكر الديني، المرجع السابق، ص 129.

السيطرة على باطن الأرض بكل ما تحتويه من ثروات خاصة المنجمية منها و تحمل مسؤولية توزيعها و كذا الحفاظ على خصوبتها كونه إله حاميا للخصوبة و الزراعة[1].

و الجدير بالذكر أن هذا الإله قد اشترك كغيره من الآلهة مع الإله ساتورن الإفريقي في بعض الصفات و الوظائف كونه كان مسؤولا عن الخصوبة، و كذا مع الإله بعل إدير، كان يظهر عادة حاملا صولجانا كرمز للحياة الأخرى يرافقه كلب بثلاثة رؤوس وظيفته حراسة أبواب مملكة الموتى[2].

إضافة لكل تلك الآلهة الرومانية لرئيسية و الثانوية فقد عرفت منطقة المغرب القديم انتشار الكثير من المعبودات الرومانية سواء تلك التي ارتبطت عبادتها بأشخاص كالامبراطور مثلا أو ارتبطت ببعض مظاهر الكون و الطبيعة أذكر منها:

2-3- أشهر المعبودات و الآلهة التجريدية (Divinités Abstraites): ظهرت رفقت الآلهة السابقة عبادة مجموعة من الأفكار المجردة التي ارتبط ظهورها في بعض الأحيان بشخص الإمبراطور، حيث وردت على النقوش متبوعة بمصطلح أغسطس(Augustus, Augusta) الدال على القداسة والألوهية[3] وتلك المتعلقة أساسا بمختلف المظاهر الكونية و التضاريسية هي عدة أنواع منها:

2- 3- 1 الآلهة الحامية(Genius):يختلف هذا النوع من الآلهة في الفكر الديني الروماني عن معظم الآلهة التي سبقت الإشارة إليها و هذا لارتباطها بالإنسان في حد ذاته، حيث كان يولد معه إلهه الخاص الذي كان مسؤولا ليس فقط عن مرافقته طوال حياته أي منذ ولادته حتى وفاته بل عن حمايته من كل أذى، لم يقتصر وجود الحامي على الأفراد(Genius, Jono) أو الجماعات كالعائلة و القبيلة فحسب بل كان مرتبطا

[1] ابراهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 199.

[2] Grimal (P.), Dictionnaire de la civilisation romaine, Paris, 1984, p 380.

محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لإقليم قالمة القديمة، المرجع السابق، ص ص 260، 261.

[3] ابراهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 210، محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لإقليم قالمة القديمة، المرجع السابق، ص265، حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص 338.

أيضا بالأماكن بدأ من المنزل، الحي أو الشارع وصولا إلى القرية ، المدينة، المستعمرة أي أن وجوده كان منوطا بكل أشكال التجمعات السكنية آنذاك[1].

يرى معظم الباحثين أن عبادة هذا الصنف من الآلهة لقيت رواجا كبيرا في أوساط بعض فئات المجتمع، وهذا لعلاقتها بذات الإنسانية من جهة و ببعض مفاهيمه المكانية الخاصة بالقرية التي يسكن فيها أو المدينة أو المستعمرة التي ينتمي إليها.

أما بالنسبة لتمثيل الصنف الأول من الآلهة الحماة و هو إله حامي الأشخاص فغالبا ما كان يتم عن طريق صورة شاب مجنح، بينما كان يستعمل الثعبان للدلالة على الصنف الثاني الخاص بمختلف أنماط الأمكنة[2].

2ـ 3ـ 2ــ الإلهة روما الأبدية (Urbi Romae Aeternae): تجسد هذه الإلهة فكرة قوة الدولة الرومانية، ظهرت في البداية منقوشة على القطع النقدية في صورة امرأة محاربة جالسة و في بعض الأحيان واقفة و هي تمسك بيدها رمحا و على رأسها خوذة مجنحة تمسك كما ظهرت أيضا إلى جانب الأباطرة في النقوش كإلهة خالدة من خلال عبارة (Dea Aeternae)[3].

2ــ3ـ 3 الإلهة فورتونا(Fortuna): هي إلهة القدر و الحظ، لم يعترف بها في البداية من قبل بعض الفلاسفة الأغارقة و الرومان الذين رفضوا الاعتقاد بمثل هذه الأفكار المجردة التي كانت تحدث صدفة في نظرهم و لا علاقة لها بأي قوة خفية حسب رأيهم. لكن بمرور الزمن منحت لبعض القيم التجريدية التي ارتبط انتشارها بقوة الدولة الرومانية

---

[1]Belfaida (A), Le culte des Génies topiques dans l'Afrique romaine : témoignages épigraphiques, Afr.Rom 1996, (1998) p : 1533-1554.

ابراهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 209، محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لإقليم ، المرجع السابق، ص265 ، حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص 339.

[2]Gsell (St.), I.L.ALg., T2, 4634, p431. ابراهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 209، محند آكلي إخربان: دراسة أثرية ، المرجع السابق، ص 265

[3]Toutain(J.), Les cultes païens, Op.cit.,pp. 37-42.

ابراهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 203 ، محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لإقليم قالمة، المرجع السابق، ص 266.

و بقادتها كالقدر ، الحظ ، المصير و النصر ، هذه الأفكار التي شخصت في عدة آلهة منها الإلهة فورتونا التي أصبحت لها صورا مميزة في الميثولوجيا الرومانية[1].

2ـ3ـ4 الإلهة فيكتوريا(Victoria): و هي من الآلهة القديمة جدا في إيطاليا التي عبدت قبل تأسيس مدينة روما، عرفت خلال المرحلة الأولى للدولة الرومانية (خلال العهد الجمهوري) على أنها المسؤولة عن مجد و قوة الدولة الرومانية[2]، في حين عبدت أثناء العهد الإمبراطوري كإلهة للنصر الأغسطسي المقدس حسب ما ورد في نصوص النقوش التي حملت عبارة (Victoriae Augustae Sacrum)[3]، حيث أضيفت لها الكثير من المهام المتعلقة بالمجال العسكري.

ظهرت هذه الإلهة في صورة امرأة مجنحة تحمل بإحدى يديها تاجا من ورق الغار وبالأخرى سعف النخيل. حظيت باحتفالات خاصة تقام فيها الألعاب الرياضية رفقة طقوس معينة[4].

2ـ3ـ5 آلهة الأرواح المقدسة(D. M. S): و المقصود بها هو عبادة أرواح الأولين أو السلف بطبيعة الحال بعد وفاتهم، حيث كان الاعتقاد السائد بان أرواحهم ستظل ترافقهم في حياتهم الثانية لحمايتهم، فقد اعتقدوا أن تلك الأرواح ستبقى تسكن قبور الموتى في ظروف صعبة للغاية و بالتالي لن يتمتعوا بالراحة الأبدية إلا بعد تقديم أهاليهم القرابين لتلك الأرواح، و على هذا الأساس أدت تلك القرابين المقدمة وفق طقوس معينة إلى ظهور هذا الصنف من المعبودات (عبادة الموتى) لكن من دون أن تتخذ طابعا رسميا

---

[1] Champeaux (J), Le culte de la Fortune dans le monde romain,Tt.2, Paris, 1987, p.46.
محند آكلي إخربان: دراسة أثرية ، المرجع السابق، ص 266، حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص339 .

[2] محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لإقليم قالمة، المرجع السابق، ص 266، حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص339.

[3] Gsell (St.), I.L.ALg., T1,233 , T2, 4651.

[4] محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لإقليم قالمة، المرجع السابق، ص 266، حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص 339.

تحظى فيه كغيرها من الآلهة بسك كهنوت أو تقام لها معابد بل اكتفى عبادها بوضع العبارة الدالة عليها في مطلع كل نصب جنائزي[1].

ثانيا: تطور المدينة النوميدية و بعض مظاهر رومنتها: عرفت المدن النوميدية خلال الفترة الرومانية تطورا ملحوظا من الناحية الهندسية بضمها لمختلف المرافق الترفيهية التي تعكس مدى الرقي الاجتماعي و الحضاري الذي وصلت إليه مجتمعات الحضارات الأخرى، و من بين أهم تلك المرافق نجد المسارح بنوعيها المدرجات والمسارح و كذلك الحمامات، الأسواق وغيرها من المرافق التي لم تكن موجودة سابقا في المدن النوميدية أو أدخلت عليها تغيرات جديدة من الناحية الهندسية مثلا[2].

1ـ المسارح : نظرا لمكانة المسرح و دوره الكبير في حياة الفرد و المجتمع على مختلف الأصعدة الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، الدينية و الثقافية، خاصة في المجالين الأخيرين وهذا ما تدل عليه و تؤكده مختلف الطقوس الدينية المرتبطة بعبادة بعض الآلهة الوثنية خاصة الرسمية منها من خلال إقامة الاحتفالات و التظاهرات الدينية تمجيدا وتكريما لتلك الآلهة عن طريق القيام بألعاب مختلفة سواء ذات الطابع الرياضي كالمصارعة و ألعاب القوى أو التثقيفي الترفيهي كالألعاب المسرحية وغيرها و الجدير بالذكر أن الراعي الرسمي لهذه التظاهرات هو الإمبراطور الذي يشترك فيها بواسطة حمل تماثيله و تماثيل الآلهة المراد الاحتفال[3].

إن علاقة أغلب الألعاب المسرحية و ارتباطها بالمناسبات الدينية عند الرومان جعلتهم يعتقدون حسب بعض الباحثين أن مبنى المسرح في حد ذاته معبدا لكل آلهتهم. و هو

[1] ارباهيم بورحلي: المرجع السابق، ص 212، محند آكلي إخربان: دراسة أثرية لإقليم قالمة، المرجع السابق، ص ص 265، 266، حياة بوسليماني زروق: المرجع السابق، ص 340.

[2] محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 261.

[3] Hugoniot (Ch.), Les spectacles de l'Afrique Romaine, T.1, p. 467.

السبب ذاته الذي جعل القديس أغسطين بعد اعتناقه للمسيحية يثور ضد هذه الأفكار ويحرمها.[1]. و المسارح أنواع منها:

2ـ المدرجات أو المسارح المدرجة(Amphitheatre): و هي عبارة عن مباني فخمة ذات جدارين واحد داخلي و الآخر خارجي تقدر المسافة بينهما بحوالي 4,30م، تتكون عادة من قاعدة بيضوية و قمة مخروطية الشكل[2]، و هي مخصصة عادة لألعاب المصارعة سواء كانت بين العبيد أو مع الحيوانات، توجد نماذج عديدة منها في مقاطعتي البروقنصلية و نوميديا أذكر منهما على التوالي الجم و لمباز[3]، بحمام دباغ[4].

ثانياـ المسارح(Theatres): ترتبط فكرة المسرح الروماني بنظيره الإغريقي وكلاهما يدين للدين لارتباطهما بعبادة الإله باخوس الروماني و نظيره دونيسيوس، حيث كانت تقدم في هذا الصنف من الباني مختلف الروايات الغريبة و المسرحيات المثيرة[5]. ونظرا لمكانتها الهامة في المجتمع فقد أصبحت من بين المرافق الثقافية الترفيهية الهامة في المدينة التي تمتاز بالفخامة من حيث أشكالها الهندسية، و بدورها الفعال في المجتمع كما سبق وأشرت أعلاه.

لذا أصبحت هي الأمكنة المخولة لتقديم أرقى الأعمال الأدبية وكذا لتنظيم مختلف الألعاب المسرحية في مختلف مناسبات الأعياد الخاصة بالآلهة التي تقدم فيها مختلف التماثيل و المعابد و الهياكل على شرف الشخصيات الهامة المدنية والدينية[6]. و نظرا

---

[1] القديس أغسطين: مدينة الله، مج 12، الكتاب الثاني، تر الخور أسقف يوحنا الحلو، ط2، دار المشرق ، بيروت لبنان، 2007 ، ص 80.

[2] محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 262.

[3] Gsell (St.), M.A.A., T1, p. 142.

[4] Gsell (St.), M.A.A., T1, p. 204, A.A.A., F9, N 144, p. 16.

[5] مريم بوقدور: المرافق الأساسية للمدن الرومانية بالجزائر من خلال مدينة تمقاد الأثرية، أعمال الملتقى الوطني الأول يومي 6ـ 7 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد، الجزائر، ص 45.

[6] محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 262.

Scardamalia (M.R.), Tetri, biblioteche, scuole di retorica: manifestazione del potere e scambi culturi nell citta dell Africa romana, Afri. Rom.XIX., Sassari 2010, Roma 2012, p. 864.

لأهميتها فقد عثر على نماذج كثيرة منها خاصة بمدن البروقنصلية منها كالما دقة، قرطاج، تبرسكوم نوميداروم...

وسنحاول تقديم نموذج منها لا تزال معالمه واضحة في عاصمة الولاية التي تدرسون فيها.

يقع مسرح كالما على سفح شديد الانحدار في الجهة الغربية بالنسبة لموقع المدينة القديمة المطل على واد السخون، و الجدير بالذكر أن بنائي تلك الفترة قد استغلوا جيدا ذلك الانحدار في تشييد مدرجات المسرح الذي بنوه على شكل نصف دائرة قطرها 58,05م، مستخدمين في ذلك عدة تقنيات منها التقنية الافريقية القائمة على استعمال دعامات من الحجارة الضخمة المنحوتة الموضوعة فوق بعضها البعض مع اختلاف وضعيتها حيث كانوا يقومون بوضع واحدة على شكل عمودي و الثانية بشكل أفقي في حين كانوا يملؤون الفراغات بين تلك الدعامات بحجارة صغيرة يقومون برصها فوق بعضها البعض بواسطة ملاط كلسي[1].

يتكون مسرح كالما كغيره من المسارح الرومانية التي تشترك في نفس الشكل الخارجي لها و كذا مكوناتها العامة من الداخل مثل المنصة، المدرجات[2]، فبالنسبة للمدرج و الحلبة بمسرح كالما يحيط بهما جدار خارجي سميك، فبخصوص المدرج يذكر باحثون القرن التاسع عشر أن معظم درجاته كانت ضائعة وقتها و على هذا الأساس نجدهم اختلفوا في تحديد عددها فحسب الباحث ستيفان قزال أن المدرج كان مقسما إلى جزأين يحتوي الجزء السفلي على أربعة أجنحة بها عشر(10) درجات، في حين يبلغ عدد درجات الجزء العلوي المكون أيضا من أربعة أجنحة أخرى بها حوالي اثنا عشر درجة(12)[3].

---

[1]Gsell (St.), M.A.A., T1, p. 194-195. محمد فوزي معلم: المسرح الروماني هندسته و دوره مسرح قالمة نموذجا، مجلة المعالم ، ع ، ص 72- 83، محمد خير أورفه لي: كلاما (قالمة) دراسة وصفية للبقايا، المرجع السابق،ص 31.

[2]Chennaouni(Y.), Les théâtres de la Maurétanie Césarienne : étude comparative, LAfri-Rom. XVII, Sevilla2006, Roma 2008, pp. 643.

[3]M.A.A., T1, p. 195.

بينما الباحث دولامار فقد تخيل وجود ستة أجنحة بالجزء العلوي تحتوي على أربعة درجات فقط[1].

يفصل بين القسمين السفلي و العلوي ممر مبني ارتفاعه 1,10م ، كما يوجد أيضا ممران جانبيان ذا أقواس، حيث ندخل للأسر منهما عن طريق دهليز مربع الشكل، علما أن كليهما يتواصلان بواسطة درج يؤدي إلى المنصة التي كانت حسب رافوازيي مبلطة بالرخام[2].

في الأعلى توجد عدة أبواب، من الممكن أن تكون أربعة منها حفرت أو هيأت في الجدار الخارجي للمسرح، و في محور انحناء هذا الجدار كانت توجد قاعة لم يبقى منها سوى الأرصفة كانت على الأغلب مبلطة بالرخام و تنتهي بانحناء ربما كان يحتوي على تمثال لمعبود مقدس أو امبراطور. يحيط بهذا الجدار صف من الأعمدة على شكل رواق حسب ما افترضه رافوازي.

على حافة المنصة كان يوجد جدار صغير كحد فاصل ـ كان مهدما زمن الباحث ـ مزينن بمشاكي ذات أشكال مختلفة مستطيلة و منحنية. كان يشرف على المنصة جدار ذو ثلاث دعامات مجوفة مختلفة الأشكال الوسطى ذات تجويف مربع بينما الجانبيتان كانتا بتجويفين منحنيين. خلف المنصة كان هناك رواق به أعمدة تشكل الواجهة ، أما المنصة فكان مزودة بقاعتين مستطيلتين من الجانبين كل واحدة منهما مزينة بكوة مخصصة لوضع تمثال فيها (ينظر الشكل رقم:95)[3].

بني مسرح كالما حسب ما ورد في نقشين اكتشفا بنفس المدينة ذكر فيهما أنه تم وضع خمسة تماثيل على عاتق المجلس البلدي للمدينة تكريما للسيدة أنيا أيليا رستتوتا (Annae Aelia Restituta) التي كانت تشغل منصب كاهنة أبدية كعرفان بالجميل على تقديمها لهبة قدرها أربعة مائة ألف سيسترز(400000) من أجل بناء المسرح. أرخت النقيشتين بعهدين مختلفين إما الامبراطورين ماركوس أوريليوس (Marcus Aurelius) و لوكيوس فيروس (Lucius Verus) أو سبتيموس سيفيروس (Septimus

[1]Delamare(), Op.cit., pl. 175, Berbrugger(A.), Chronique Archeologique, Op.cit.,p. 390.

[2]Gsell (St.), M.A.A., T1, p. 195.

[3] Ibid., p. 196.

Severus و كراكالا(Caracalla) ، علما أن عهدي الأخيرين هو الأرج في نظر معظم المؤرخين لذا أرخوا هذا المعلم بالفترة الممتدة من نهاية النصف الثاني للقرن الثاني إلى بداية النصف الأول من القرن الثالث ميلادي أي خلال فترة حكم السيفيريين لبلاد المغرب[1].

يبدو من خلال كل المعطيات المقدمة أعلاه أن مسرح كالما كان من أجمل و أضخم المسارح الرومانية بشمال إفريقيا التي أدت دورا كبيرا في تنشيط الحركة الثقافية كما يعتبر أيضا دليلا على مستوى الرقي الحضاري الذي وصلت إليه هذه المدينة عن طريق تكاثف جهود أبنائها المخلصين أمثال أنيا أيبليا رستيتوتا التي تبرعت بهذا المبلغ الكبير لصالح النهوض ببلدتها ثقافيا و حضاريا.

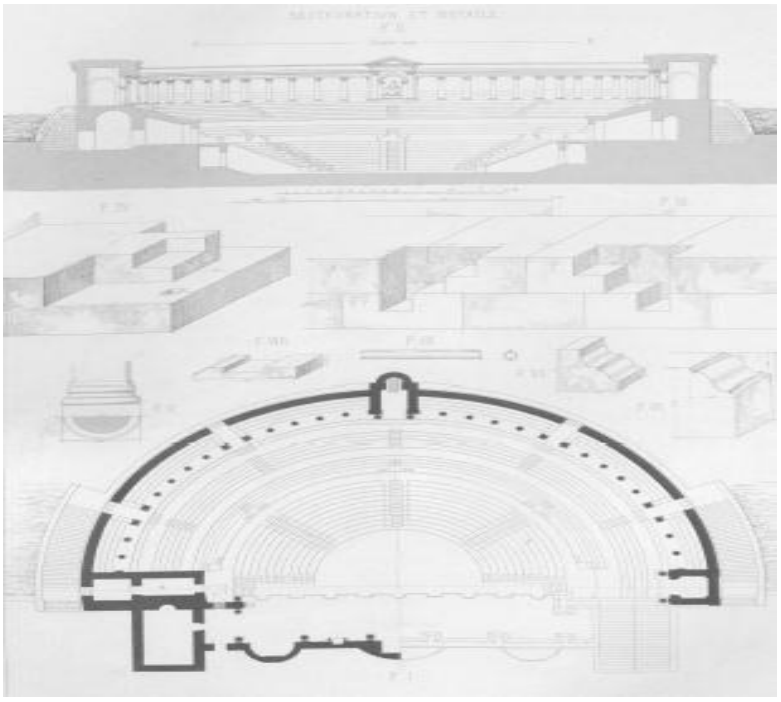

مخطط عام للمسرح الروماني مع بعض أجزائه بكالما[2].

[1]Grellois(E.), Op.cit., p. 17-18, Gsell (St.), I.L.ALg., T1, 286, 287, M.A.A., T1, p. 194-195, A.A.A., F9, N.146, p 19, Scardamalia (M.R.), Op.cit., p. 865, Pompejano(P.), Op.cit., p. 1436.

محمد خير أورفه لي: كلاما (قالمة) دراسة وصفية للبقايا الأثرية، المرجع السابق، ص 32، جازية فيلالي: دراسة مقارنة للمسرح الروماني في الجزائر القديمة مسرحي قالمة و خميسة، أعمال الملتقى الوطني الأول يومي 6ـ 7 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد، الجزائر، ص 53ـ 62.

[2]Ravoisie(A.), Op.cit., pl 30, Gsell (St.), M.A.A., T1, p. 195.

2ـ **أهمية الحمامات أصنافها و دورها:** تتبوأ الحمامات الرومانية من الناحية المعمارية مكانة كبيرة بين أعظم المنشآت التي أقامها الرومان في مدنهم، حيث لم يسبقها في المرتبة إلا مبنى البانثيئون، و الجدير بالذكر أن الروماني كان يحمل معه فكرة الحمام العام أينما ذهب[1]، ربما هذا هو السبب الذي دفع بالباحثين للقول أن الحمامات إبداع روماني محض.

كانت الحمامات الرومانية تتكون من عدة قاعات ذات أشكل هندسية جميلة ومتناسقة هذا فضلا عن كونها مزينة بأفضل الزخارف و اللوحات الفسيفسائية[2] التي تجعل منها مباني فخمة تحمل عنوانا كبيرا للهدوء النفساني و رفعا لقوة الروح المعنوية[3]، و على هذا الأساس لا يمكن إغفال الدور الهام لمثل هذه المرافق في تنشيط الحياة الحضرية باعتبار الاستحمام طقسا يوميا. فقد كان يوم المواطن الحضري مقسما إلى ثلاثة أقسام: الصباح للعمل بينما خصص المساء للتسلية و الترفيه، أما تبقى من اليوم فهو للنوم و الراحة[4].

فبعد عمل متعب في الساعات الأولى من اليوم يعود العامل إلى منزله لتناول الغذاء ثم يحظر نفسه للذهاب بعد الزوال إلى الحمامات متوجها إلى خدمة البدن أو عبادته على حد تعبير الباحث لويس ممفورد الذي قال[5]:" ... **لقد كان الحمام العام المعبد الذي يقيمون فيه شعائر عبادة البدن**". أما الباحث بيير أبير(Pierre Aupert) فقد رأى في الحمام مكانا مؤهلا لأداء مختلف الطقوس الخاصة بعبادة عدد من الآلهة التي تزين تماثيلها مختلف قاعاته[6]. وقد شاطره باحث آخر رأيه معتبرا أن الحمام مكان مقدس[1].

---

[1] لويس ممفورد: المرجع السابق، ص 411.

[2] خديجة منصوري: الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أعمال ملتقى دولي في التاريخ، بعنوان التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، 23ـ24 أفريل 2001، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، ص 77، محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 266.

[3] لويس ممفورد: المرجع السابق، ص411.

[4] محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 267.

[5] المرجع السابق، ص ص 410، 411.

[6]Les thermes comme lieux de culte, Actes de table ronde organisée par l'école française de Rome, 11-12 novembre 1988, p. 185-192.

تتكون الحمامات من عدة قاعات تختلف فيما بينما من حيث درجة حرارة المياه المستعملة فيها، حيث كان على المستحم أن يبدأ أولا بخلع ثيابه في القاعة المخصصة لذلك (Apodyterium) ليدخل بعدها إلى أخرى خاصة بتعريق الجسم (Laconicum) ومنها إلى قاعة أخرى تكون فيها درجة حرارة الماء أعلى من السابقة لإزالة العرق تماما (Caldarium) و بعدا يتوجه لقاعة الاستحمام بالماء الفاتر ثم البارد لشد العضلات وتقويتها (Tepiderium, Frigidarium) و أخيرا يستقر به المطاف في قاعة التدليك (Elaeothesium) التي يتم فيها معالجة الجسم عن طريق تدليكه بزيت الزيتون بهدف المحافظة على صحته و جماله[2].

يبدو أن قضاء الأشخاص لعدد متواصل من ساعات اليوم بهذه المرافق دليل ليس فقط على أهميتها من الناحية الصحية و الجسدية بل على أهمية النشاطات الترفيهية والتثقيفية التي كانت توفرها لمستخدميها مثل السماع للخطباء، الاستمتاع بحضور مناظرات سياسية أو فلسفية، هذا فضلا عن التمتع بمشاهدة مختلف التحف الفنية[3] والذهاب بعيدا عن كآبة الازدحام و الاضطراب اللذان قد توفرهما بعض الأماكن الأخرى[4].

لقد قسم الباحثون الحمامات حسب طبيعة المرافق المتكونة منها و الوظائف الموكلة لها إلى أربعة مجموعات، تضم المجموعة الأولى الحمامات المخصصة للجيش والمقصود بها تلك التي بنيت بمواقع عسكرية أذكر من بينها حمامات كتيبة أغسطس الثالثة بالمعسر تازولت (Lambaesis)، حمامات فيلق الفرسان الساردين بسور الجواب (Rapidum).

في حين تحتوي المجموعة الثانية حمامات الخواص التي توجد في الغالب بالطابق السفلي لمنازل الأثرياء، و هي مخصصة فقط لأصحاب المنزل و بعض ضيوفهم من

---

[1] Schid(J.), Sanctuaires et thermes sous l'empire, Actes de table ronde organisée par l'école française de Rome, 11-12 novembre 1988, p.205-216.

[2]Thebert(Y.), Les thermes romains d'Afrique du nord , école française de Rome, 2003, pp 75- 76.

[3] محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 268.

[4] لويس ممفورد: المرجع السابق، ص 411، خديجة منصوري: الحمامات ببلاد المغرب، المرجع السابق، ص 79.

الأقرباء و الأصدقاء، و الجدير بالذكر أن بناء هذا الصنف من الحمامات كان مكلفا للغاية حيث كان المبلغ الكافي يصل إلى مائة ألف سيسترس(100000) الذي يفوق بكثير ضريبة الناخب للانضمام إلى فئة الفرسان. و أشهر المنازل التي احتوت على حمامات تلك التي عثر على آثارها بمدينتي تمقاد و جميلة[1].

بينما تتعلق حمامات المجموعة الثالثة بطبيعة مياهها المعدنية الساخنة طبيعيا، لذا نجدها قد بنيت إما أسفل منابعها أو بالقرب منها، علما أن أسماء الأماكن المتواجدة بها قد استمدتها منها و على هذا الأساس كانت مختلف تراكيبها الاسمية تحتوي على لفظ(Aquae) الذي يعنى الماء باللاتينية، و من بين تلك المواقع أذكر حمام بوحنيفية (Aquae Sirenses)، حمام ريغة(Aquae Caldae)، حمام الصالحين (Aquae Flavianae)، حمام دباغ(Aquae Thibilitanae)[2].

أما المجموعة الرابعة فتحتوي على الحمامات العمومية التي كانت من المرافق الهامة بالنسبة لأي مدينة أو بلدة رومانية، هذه المرافق التي ساهم في بنائها حتى الأثرياء بهدف تزيين مدنهم بحمامات فخمة شأنهم في ذلك شأن قادة الجيوش الذين كانوا هم أيضا يساهمون في بناء حمامات بمعسكراتهم. و من بين الأمثلة على حمامات هذا الصنف أذكر حمامات مدينة تمقادي، شرشال، مداوروش، كالما و غيرها[3].

و نظرا لتوفر المدينة التي تدرسون فيها على العديد من المعالم الأثرية المتعلقة بهذا الصنف الهام من المرافق داخل المدينة الرومانية فقد ارتأيت أن أقدم لكم نموذجا منها و يتمثل في الحمامات العمومية بعاصمة الولاية نموذج عن بقايا الحمامات المعدنية ببلدية أكوبى تيبيليتاني.

---

[1] خديجة منصوري: المرجع نفسه، ص ص 69، 70.

[2]Grellois(E.), Op-cit., p. 61-64, Gsell (St.), M.A.A., T1, p. 212-224, A.A.A., F9, N.128.144, p. 15,16. خديجة منصوري: الحمامات ببلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 70

[3]Grellois(E.), Op-cit., p. 22-25, Gsell (St.), M.A.A., T1, p. 212-224, A.A.A., F9, N.146, p. 19.70 خديجة منصوري: الحمامات ببلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص

الحمامات العمومية: أكتفي في هذا الصدد بدراسة نموذج واحد هو الحمامات العمومية المتواجدة بعاصمة الإقليم مدينة كالما، و بالضبط في الجهة الجنوبية الشرقية منها و هذا حسب المخططات القديمة لها (ينظر الشكل الموالي).

للأسف أن هذه الحمامات لم تحظ بأية دراسة مختصة طيلة القرنين الماضيين مما جعل ملفها الأثري يبدو فقيرا بالنسبة لبعض الباحثين المعاصرين الذين ركزوا في معظم دراساتهم على أشهر الحمامات الموجودة في تمقاد[1]، لكن هذا لم يثن الباحث دحمان رياض الذي جعلها موضوع دراسة أكادية قدمها لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة[2].

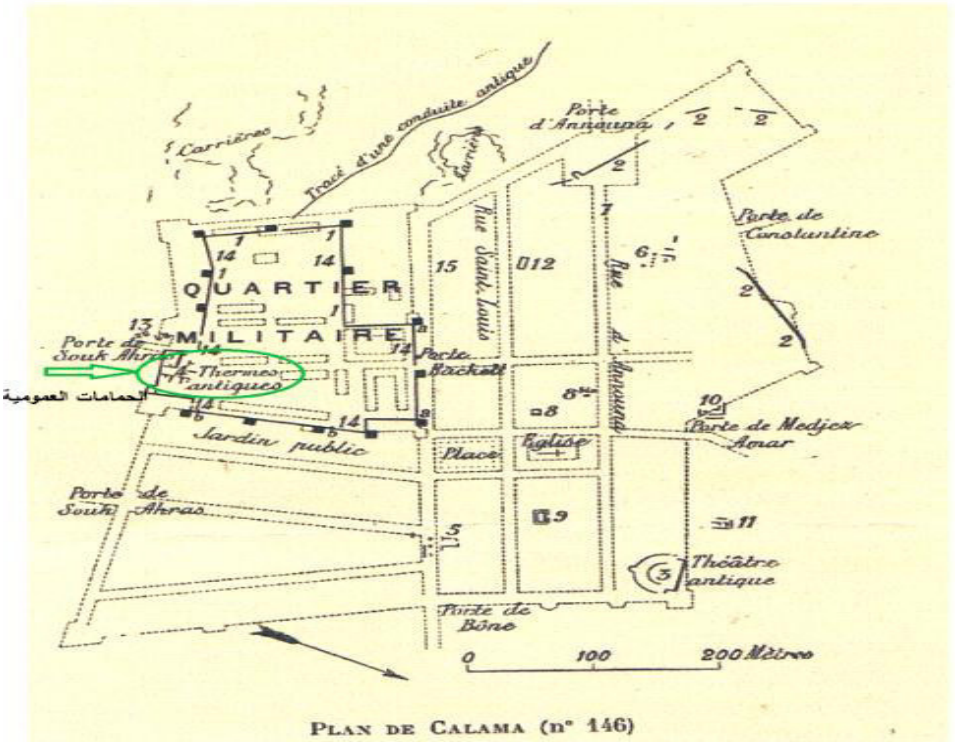

PLAN DE CALAMA (n° 146)

موقع الحمامات القديمة ضمن المخطط العام لمدينة كالما[3].

[1]Bahloul Guerbabi (F.Z.). Restitution de deux grands Thermes de type impérial, les grands thermes de Lambèse des grands thermes du nord de Timgad, L Afri- Rom., XIX, Sassari, 2010, Roma 2012, p. 2382.

[2] رياض دحمان: الحمامات الشرقية لمدينة كالما في مجالها العمراني الروماني القديم، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر2 ، 2013ـ 2014 .

[3]Gsell (St.), A.A.A., F9, N.146, p. 18.

تعود حمامات كالما مثلها مثل أغلب حمامات المنطقة النوميدية التي تتطابق من حيث شكلها الهندسي و طريقة بنائها المعتمدة في الغالب على التقنية المختلطة إلى الفترة الممتدة ما بين القرنيين الثاني و الثالث الميلاديين[1]، فهو مبني بعدة تقنيات كما تبينه مختلف بقايا جدرانه المكونة أساسا من الحجارة و الآجر المرصوف الذين تتخللهما كميات من الملاط الكلسي، المغطاة أحيانا بالحجارة الصغيرة الحجم (ينظر الصورة أسفله)، هذه الفترة التي شهدت فيها المدينة بناء ثاني أهم مرافقها و هو المسرح الروماني الذي كنت قد تطرقت له في المطلب السابق.

تتكون حمامات كالما كغيرها من حمامات المغرب القديم من قاعات و غرف متنوعة الوظائف(الساخنة، الدافئة، الباردة...) لكنها متشابهة من حيث الشكل الذي كان على الأغلب مستطيلا موزعة بشكل تناظري على مساحة قدرها حوالي ثلاثة آلاف متر مربع (3000م2)، لكن الجزء الذي بقي محفوظا نوعا ما هو المتعلق بالقاعات الباردة وملحقاتها التي كانت مساحتها أكثر من 300م2[2]. (ينظر الشكل المولي).

صورة لبقايا الجدار الشمالي للحمامات المبني باستعمال التقنية المختلطة.

[1]Adam(J.P.), La construction Romaine, matériaux et technique, éd. 3, France, 1995 , p 150.

[2]Ravoisie(A.), Op-cit., p. 20,21, Thebert(Y.), Op.cit., p. 289.

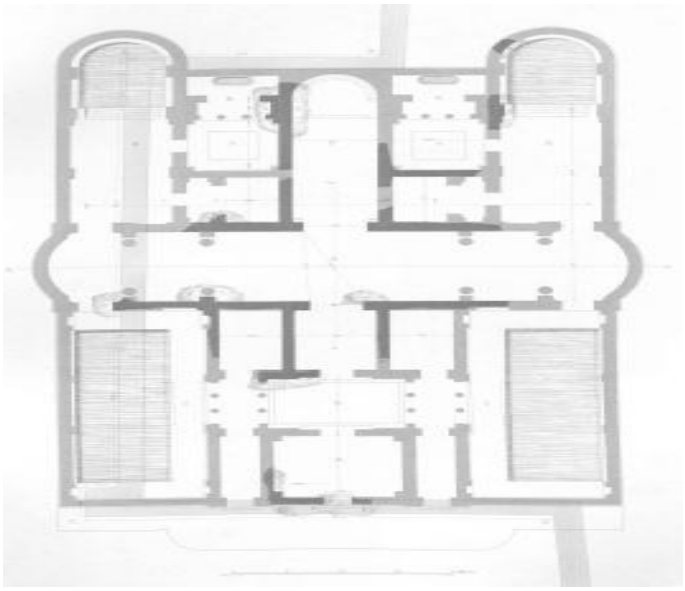

المخطط العام لحمامات كالما بكل مرافقها[1].

تبين إحدى النقيشات المكتشفة بمدينة كالما أن السيد كوانتوس بازيليوس فلاكيانوس الكاهن الدائم(Flamine Perputuus) و العراف(Augur) و أمين الخزينة العمومية (Curator rei publicae) بالمدينة قد قام بترميم المسبح(ويقصد به حوض الحمامات) علما أنها أرخت بـ 364ـ 365م و هذا اعتمادا على أن الأمر قد حدث في عهد بوبيليوس أمبيليوس(Pubilius Ampelius)الذي كان بروقنصل على إفريقيا خلال سنتي 364ـ365م[2].

كما يدل وجود بعض العناصر الزخرفية التي تم اكتشافها مطلع القرن الثامن عشر من قبل الباحثين الفرنسيين رغم قلة عددها الذي لم يتجاوز الثلاثة عناصر على أن حمامات كالما كانت غاية في الجمال و الروعة و هو ما يثبته أيضا تعدد و تناسق غرفها و مرافقها حسب ماء في المخطط المذكور أعلاه (ينظر الصورة الموالية).

[1] Ravoisie(A.), Op.cit., pl.25.

[2] Gsell (St.), I.L.ALg, T1, 256, 255.

الصورة رقم: 179 صور ثلاثة عناصر زخرفية كانت مستعملة في تزيين حمامات كالما[1].

2ـ الحمامات المعدنية: يتوفر إقليم كالما و ما جاورها حسب ما قدمته خلال الدراسة الجغرافية له في الفصل الأول من الرسالة على عدة محطات تحتوي على منابع المياه الساخنة طبيعيا أو كما يصطلح عليها بالمنابع المعدنية، حيث تدل مختلف مخلفاتها الأثرية أنها كانت مستغلة خلال الفترة الرومانية أذكر منها محطة حمام دباغ التي تحتوي على العديد منها و كذا محطتي حمام أولاد علي و حمام النبائل، لكنني سأكتفي في هذا العنصر بدراسة ثلاثة نماذج منها نموذجين منها بحمام دباغ و الثالث بحمام أولاد علي.

أ ـ الحمامات المعدنية بأكوايي تيبيليتاني(Aquae Thibilitanae): يبدو من خلال التسميتين القديمة و المعاصرة لهذه المدينة التي تتركب من اسم الماء(Aquae) بالنسبة للفترة الأولى و اسم حمام في الفترة الثانية بأنها تحتوي على منابع مياه ساخنة تتجاوز درجة حرارتها 95° التي كانت مستعملة خلال الاستعمار الروماني الذي بنيت في عهده عدة حمامات بالمنطقة[2].

يدل العدد الكثير للأحواض المكتشفة بالمنطقة على أنها كانت مستعملة في الكثير من الحمامات المستغلة من قبل عدد هام من الناس آنذاك الذين كانوا يستعملونهم لأغراض علاجية(طبية) من أجل صحتهم[3]. يبدو أن بقايا هذه الأحواض هي التي ساعدت بعض

---

[1] Raviosie(A.), Ibid., pl. 24.

[2]Grellois(E.), Op.cit., p. 57, Marty(J.), et Royer(L.), Notes archéologiques sur Hammam Meskoutine et ses environs , R.S.A.C., 1891, p. 205, Fournel (H), Richesse minérale de l'Algérie, I, Paris, 1959, p.p., 185-191.

[3]Ravoisie(A.), Op.cit., p.7.

الباحثين ليس على تصور الشكل الهندسي لتلك الحمامات و وضع عدة مخططا لها فقط بل ساهمت أيضا في تحديد مكان تواجدها[1]، حيث يعتقد أن الحمام الأول كان في الجهة الشرقية للهضبة المقابلة لواد شداخة عند التقائه بواد بوهمدان أي بالقرب من حمام بناجي حاليا أين تم الكشف عن خزانين خلال أشغال بناء تحت الحمام (ينظر الشكل أسفله والصورة الموالية).

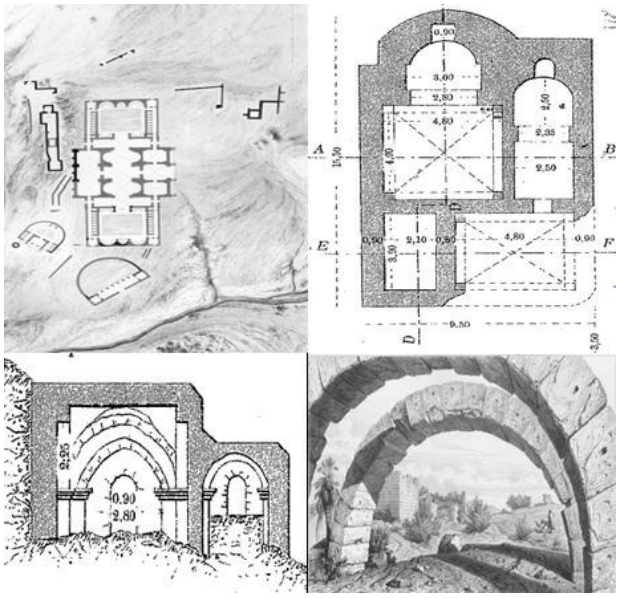

مخططان عامان لنفس الحمامات المعدنية من مرجعين مختلفين[2].

أربعة صور من جهات مختلفة للخزان المكتشف بحمام دباغ خلال سنة 2014م

[1] Thebert(Y.),Op.cit., p. 370.

[2]Ravoisie(A.), Op.cit., pl19, 21, Marty(J.), et Royer(L.), Op.cit., p.207.

كما عثرت خلال العديد من التحريات الميدانية التي قمت بها في منطقة حمام دباغ على بقايا أثرية مختلفة تتمثل في بقايا أسوار و أساسات غرف و أحواض وقنوات نقل المياه منتشرة على الضفة اليمنى لواد شداخة في الجهة الشمالية بالنسبة لمكان تواجد المركب الحالي أعتقد بأنها بقايا لحمام كبير ضخمة لم تحظى بأية دراسة علمية أو أكاديمية بعد نظرا لكون المنطقة لم تتعرض لأية تنقيبات أو أعمال أثرية بعد.

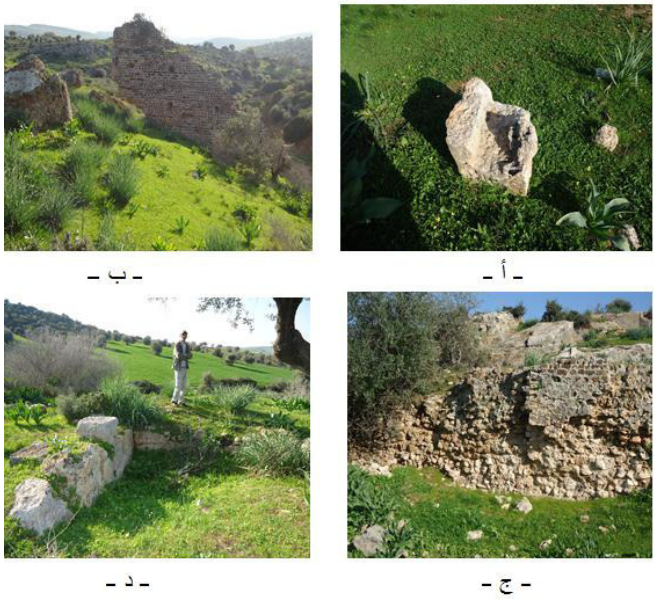

- أ - - ب - - ج - - د -

أربعة صور لعدة بقايا أثرية مختلفة للحمامات المعدنية بمشتة السنقط في حمام دباغ .

2: الأسواق: عرف هذا النوع من المرافق هو الأخر تطورا ملحوظا خلال الفترة الرومانية على الرغم من أنه كان موجودا خلال المرحلة النوميدية إلا أنه لم تصلنا أية معلومات وتفاصيل دقيقة يمكننا من خلالها إعادة رسم صورة للسوق النوميدي خاصة اليومي منه.

2ـ 1ـ تعريف السوق: يطلق على الأسواق عند الرومان لفظ الماكيلوم (Macelum) وهو لفظ لاتيني مشتق من المصدر ماركتوس (Marcatus) الذي يعني المكان المخصص للاتصال بين التجار والمواطنين قصد التبادل التجاري (تبادل السلع والمنافع)[1]، و هي أنواع منها اليومية ، الدورية و الريفية و سنقوم بتعريف كل نوع مع تحديد وظيفته.

[1] Gaffiot(F.), dictionnaire abrégé latin français illustré , librairie hachette, paris, p377

2ـ 2: الأسواق اليومية(Macellum) و وظائفها: و أقصد بها تلك الأسواق التي لا تزال بقايا آثارها موجودة في المدن و هي من المرافق الهامة الواجب توفرها داخل المدينة الرومانية لأنها تمثل مؤسسة اقتصادية بالدرجة الأولى، ففيها يلتقي البائع بالشاري لاقتناء حاجياته مرة كل يوم لذا سميت بالأسواق اليومية[1]. وهي تختلف من حيث مساحتها وهندستها و عدد مرافقها حسب أهمية المدينة الموجودة فيها وثروة صاحبها وهي كثيرة العدد في بعض المدن دون أخرى حسب مكانة هذه الأخيرة أذكر مثلا أسواق جميلة ، تموقادي ، سيتيفيس[2].

2ـ 3ــ الاسواق الدورية (Nundinae) ووظائفها: لقد ظهرت على مفترقات الطرق الرئيسية التي أنشأها الرومان مراكز تجارية كبرى، حيث كانت الجم (Thysdrus) سوقا للحبوب والزيت و الضأن في حين كانت باجا(Vaga)، حمام دراجي(Bulla regia) ومكثر(Mactaris) كعواصم للقمح، بينما اختصت تبرسق (Teboursouk)، دوقا (Thogga) في الزيتون، أما سوق أهراس (Thagaste) و قالمة (Calama) فكانتا أكبر سوقين للمواشي.

على الرغم من وجود أن كل هذه الأسواق الجهوية الكبرى لكنها لم تكن قادرة على استيعاب كامل النشاط التجاري الذي كان أغلبه يتم في **أسواق ريفية** تسمى بنونديناي (Nundinae)هذه الأخيرة كانت تقام بترخيص إداري من قبل كبار الملاك في ضياعهم التي من الممكن جدا أن تصبح مستقبلا من بين المراكز التجارية الهامة فهي موصولة بشبكة من الطرق المهيأة لهذا الغرض[3].

أشارت بعض نصوص النقوش إلى وجود نماذج عديدة من الأسواق الريفية التي أقيمت بدأ ن سنة 138م من قبل شخص هام في دومانه الكبير بكايزي بيقانسيس (Casae

---

[1] خديجة منصوري : مستوطنة سيتيفيس في الفترة الرومانية النشأة و النمو الاقتصادي مجلة العلوم الإنسانية ، ع15، جامعة منتتوري قسنطينة ، الجزائر،2001 ،ص 179.

[2] Gsell(St.), M.A.A., T1, p. 123, 206-10.

[3] Salama(P.), Les Voies Romaines, Op.cit., p. 47.

محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع، المرجع السابق، ص 140، محمد فوزي معلم: المنشآت و المعالم الأثرية الريفية، ص 147.

Beguenses) في شمال غرب سبيطلة اسمه لوكيوس أفريكانوس وهو عضو مجلس الشيوخ و قد استغل علاقاته مع زملائه في المجلس للحصول على رخصة إدارية لإقامة هذا السوق[1]، كما دلنا نص آخر من عين الكرمة على فيكوس فلافيانوس كمالك لسوق أخرى بهذه الأخيرة. في حين قدم لنا نص من عين مشيرة لمالكة أخرى هي أنطونيا ساتورنينا(Antonia Saturnina) زوجة المواطن ك. أريوس باكتوس (C. Arrius Pacatus) عضو مجلس الشيوخ بسيرتا، علما أن هذه السوق حظيت بمكانة هامة لوقوعها على الطريق الرابطة بين سيرتا و ديانا فتيرانوروم (عين زادة)(Diana Veteranonum)[2].

أما بمنطقة كالما مثلا فقد ورد في نص النقيشة المهداة للإلهة كايليستيس المكتشفة بهنشير واد خروف شمال شرق دوار عين ملوك (تاملوكة حاليا) اسم أحد الشخصيات الهامة بسيرتا و هو فوسفوروس الذي كان يملك سوقا بهذه المنطقة (ينظر الشكل الموالي)[3].

يرى الباحث شاو أن السوق موجود في ملكية واسعة تمتد من منطقة عين تراب في الشمال إلى غاية دراع القلعة في الجنوب أين أنشأ المدعو فوسفوريوس في مركز دومانه الذي يقع في مفترق طرق بين سهول عين عبيد من جهة الغرب و تاملوكة من الشرق، هذا السوق الذي وضع ليسهل التعامل التجاري بين مختلف المزارع المحيطة به و كذلك ليسهل عملية التواصل أفراد بين قبيلتي الزبربر و النتابوت [4].

[1]Salama(P.), Les Voies Romaines, Op.cit., p. 47, Shaw(B.D.), Rural Markets in north africa and the political economy of the roman empire, Ant.Afri., T17, 1981, p. 54, Meloni(L.), Le nundinae nel Nord Africa: produzoine merci scambi nelleconomai die vici, LAfri-Rom.XVII, Sevilla2006, Roma 2008, p. 2535-2542.

[2] Salama(P.), Les Voies Romaines, Op.cit., p. 47, Shaw(B.D.), Op.cit., p. 59-61, Meloni(L.),Op.cit., p. 2535.

[3] Piquet (M.), Notice sur une Inscriptions romaine et sur quelques vestiges romains trouves dans la region de carubert et ain beida, R.S.A.C, 1912, pp.283-286, Gsell(St.), I.L. ALg., T2, 6225, p.581, Meloni(L.),Op.cit., p. 2536.

[4] Shaw(B.D.), Op.cit., p. 62-63.

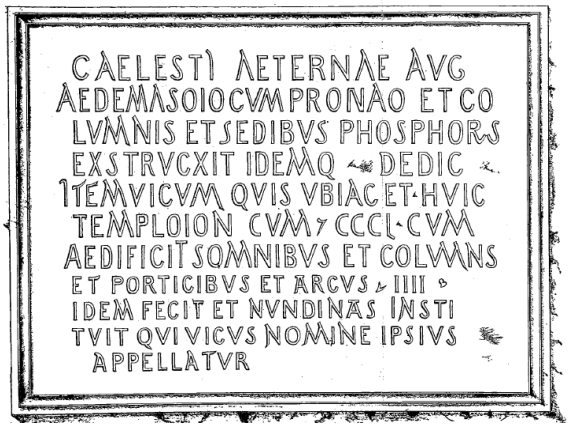
CAELESTI AETERNAE AVG
AEDEMASOIOCVMPRONAO ET CO
LVMNIS ETSEDIBVS PHOSPHORS
EXSTRVCXIT IDEMQ DEDIC
ITEMVICVM QVIS VBIACET·HVIC
TEMPLOION CVM CCCL·CVM
AEDIFICIT SOMNIBVS ET COLVMNS
ET PORTICIBVS ET ARCVS IIII
IDEM FECIT ET NVNDINAS INSTI
TVIT QVI VICVS NOMINE IPSIVS
APPELLATVR

شكل نص النقيشة المكتشفة بعين ملوك (تاملوكة) التي ورد فيها اسم صاحب السوق الريفي بها[1] .

لقد مكن نشاط مختلف الأسواق الريفية السالفة التي أقيمت بالضياع الكبرى التابعة للخواص في فترات تتناسب و النمط المعيشي لسكان الريف من سد حاجياتهم الضرورية لأنه لا يمكن لسكان الضياع الكبرى أن يعيشوا على اقتصاد مغلق خاصة إن التركيز على منتج بعينه كالحبوب أو الزيتون يجعل باقي المحاصيل الزراعية و مختلف الأنشطة الأخرى التي تمارس بواحدة منها في مرتبة ثانوية مما يفرض على هؤلاء الحصول عليها هن طريق منتوجات المزارع الأخرى التي تقوم بعرضها في هذا الصنف من الأسواق وهذا لتفادي تنقلات المزارعين إلى المدن لشراء حاجياتهم فهي توفر لهم السلع غير المتوفرة بالضيعة وتتيح لهم فرصة التفاوض حول فائض الإنتاج مقابل مبالغ مالية لتسديد الرسوم المفروضة عليهم[2].

كما استغل الرحل أيضا فرصة إقامتها بالقرب من مراعيهم لاقتناء حاجياتهم و بيع المنتوج الذي توفره الماشية هذا زيادة على الخدمات الهامة التي قدمتها لأصحاب الضياع إذ سمحت لهم بتسويق إنتاجهم إلى المدن و أتاحت لهم فرصة توظيف اليد العاملة الزراعية الموسمية التي كانت تفد إلى الأسواق لعرض خدماتها[3].

---

[1] Piquet (M.), Op.cit., pp.283-286, Gsell(St.), I.L. ALg., T2, 6225, p.581.

[2] خديجة منصوري: المرجع السابق، ص 180.

[3] خديجة منصوري : التطورات الاقتصادية بموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني ، دكتوراه دولة ،جامعة وهران ص102.

المحور الثالث: المقاومة المحلية للاحتلال الروماني.

المحاضرة السادسة: مقاومة يوغرطة للاحتلال الروماني.

المحاضرة السابعة:ثورتي أرابيون و تاكفاريناس مع مازيبا.

ثالثا: المقاومات المحلية للاحتلال الروماني أسبابها مراحلها و أهم نتائجها:

سنتطرق في محاضرات هذا المحور إلى أهم المقاومات و الثورات التي اندلعت ضد الاستعمار الروماني نذكر منها مقاومة يوغرطة و ثورة تاكفاريناس، و أرابيون وقد اخترنا هذه النماذج لعدة اعتبارات منها عامل الزمن الذي نود من خلاله التأكيد على استمرارية المقاومات والثورات عبر مختلف مراحل الفترة الاستعمارية، في حين تعلق الاعتبار الثاني بتنوع ردود الفعل العسكرية ضده سواء من قبل أمراء من البيت الملكي النوميدي أو ثوار من الطبقة الشعبية، أما الاعتبار الثالث فيخص المكان تدعيما منها لفكرة شموليتها و توزعها عبر مختلف المناطق المحتلة، في محاولة مني رسم صورة قلمية عن واقع تلك المقاومات والثورات بكل أبعادها دون أن نهمل الفرق فيما بينها.

1: مقاومة يوغرطة للاحتلال الروماني: البداية حتما ستكون بالحديث عن طبيعة العلاقة بين القائد النوميدي و الرومان .

1ـ 1ـ يوغرطة من اعجاب الرومان به إلى عدائه لهم. نستهل محاضرتنا هذه بالقول الشهير للقائد النوميدي الفذ يوغرطة: **(.. روما مدينة للبيع ومصيرها الهلاك ستعرض للبيع يوما إن وجدت من يشتريها...)** يمكننا أن نستنتج من هذا القول مدى العداء الذي يكنه العاهل النوميدي للرومان الذين لم يكتفوا بالقضاء على عدوتهم قرطاجة ـ كما سبق و أشرنا ـ في المحاضرات السابقة بل حاولوا التدخل في شؤون المملكة النوميدية الداخلية و هذا ما أكدت عليه الوصية المشؤومة التي تركها الملك ماسينيسا للقائد سيبيون الايميلي الذي أعاد تقسيم السلطة بين أبناء ماسينيسا الثلاثة حيث منح مسيبسا شؤون الادارة في حين كلف غلوسا بقيادة الجيش، بينما ترك القضاء لمستنبعل[1]، و لحسن حظ المملكة أن آلت جميع السلطات مستقبلا إلى مسيبسا بعد وفاة أخويه الذي حكم لمدة ثلاثين سنة(148ـ 118ق.م)[2]، عرفت المملكة خلالها الاستقرار السياسي الي لم يلبث أن عكر صفوه بوفاته

[1] محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، دار الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، 1998،ص 94، محمد الصغير غانم: علاقة نوميديا بالرومان، مجلة التراث، ع2، دار الشهاب باتنة، 1987، ص 13.

[2] محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، المرجع السابق، ص 93، نقيشة ميسيبسا ، مجلة سيرتا، ع4، 1980، ص، 13.

وإعادة تقسيم السلطة من جديد بين أبناء مسيبسا(هيمصال وأذربعل من صلبه و يوغرطة ابن أخيه الذي تبناه)[1].

إن خلفية تبني الملك مسيبسا لابن أخيه يوغرطة كانت مرتبطة حتما إما بمصالح هذا الأخير أو بالمصالح الرومانية خصوصا أن يوغرطة قد أثبت في كثير من المناسبات قوته وجدارته بالحكم نظرا لحنكته و خبرته في جميع المجالات لاسيما العسكرية منها، فقد حقق عدة انتصارات جعلت كل من عمه و القائد الروماني يعجبان به على الرغم من محاولة الأول التخلص منه في عديد المرات أمر بارساله لمساعدة الرومان[2] في حصارهم لمدينة نوماس في شبه جزيرة إيبيريا[3] سنة 134ق.م التي عاد منها بنصر مؤزر كسب به ود و ثقة الثاني الذي كلفه أيضا بمهمات صعبة كللت بنجاحه مما جعله يرسله إلى عمه مع رسالة جاء فيها : (... **لقد أظهر ابنك يوغرطة شجاعة فائقة في حرب نوماس ستسعدك كما أسعدتني، لذا سأبذل ما في وسعي أن ينال هذا الفذ ما يستحقه من رضا و تقدسر مجلس الشيوخ الروماني ، فبسم صداقتنا المتينة أهنئك بابنك الشجاع فهو جدير بك و باجده ماسينيسا...**)[4].

إن قصة الصراع حول العرش النوميدي بعد وفاة الملك مسيبسا شبيهة في باطنها بالصراع الأول بين أبناء ماسينيسا[5] و محاولة الطرف الروماني إعادة المملكة إلى النقطة التي بدأت منها القائمة أساسا على فكرة تقسيم السلطة على الورثة الثلاثة هيمصال وأذربعل و يوغرطة كما أسلفنا غير أن هذا الأخير لم يكن راضيا على التقسيم و إنما تظاهر بذلك كي يتجنب المواجهة المسلحة مع الرومان منذ الوهلة الأولى لأنه كان يطمح لإعادة توحيد

---

[1] محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، المرجع نفسه، ص 94، نقيشة دقة الأثريةدراسة لغوية و تاريخية ،مجلة العلوم الانسانية، ع 10، جامعة قسنطينة، ص 101ـ 112.

[2] محمد الصغير غانم: مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005، ص 166.

[3] جمال مسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري ثورات الأوراس و التخوم الصحراوية نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة المجاستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2007ـ 2008، ص 55، محمد السعيد قاصري: ثورة يوغرطة، أشغال الملتقى الوطني الثالث 30، 31 مارس، الأوراس عبر التاريخ، منشورات المتحف العمومي الوطني خنشلة، 2015، ص 451.

[4] Salluste, Bellum Jugurthinum, IX.

[5] محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب سياسة الرومنة 146ق.م ـ 40م، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1985، ص ص 30، 31.

المملكة من جديد و هو ما حدث فعلا بعد تمكنه من القضاء على ابني عمه متجاهلا كل لجان التحقيق التي كان مجلس الشيوخ الروماني يرسلها من حين لآخر لعاصمة الولاية الافريقية الرومانية بأوتيكا كلما أرسل أحد أبناء عمه إليهم يستنجدون بهم، و أخيرا تمكن يوغرطة من الوصول إلى العاصمة سيرتا والاستيلاء عليها سنة 112ق.م[1] معلنا بذلك توحيده للمملكة النوميدية بعد محاولته القضاء على نفوذ الجالية الايطالية و الحد من نشاطها السياسي و الاقتصادي هذا الفعل الذي اعتبرته روما تمردا عليها و اعلانا للحرب ضدها في حين اعتبره يوغرطة الذي استمر في التظاهر بولائه للرومان رد فعل على تدخلها في صراعه مع ابن عمه[2].

2ـ يوغرطة يهدد مصالح روما و ينتصر عليها: بعد تمكن يوغرطة من توحيد المملكة، ثارت ضده طبقة العامة في روما بعد تجرئه على أفراد جاليتهم في سيرتا معتبرين ذلك التصرف اهانة لشرف الرومان جميعا، مطالبين بإرسال حملة تأديبية للملك النوميدي، غير حنكة يوغرطة و بعد نظره دفعه لإرسال وفد إلى مجلس الشيوخ الروماني برئاسة ابنه لشرح الموقف النوميدي و التفاوض بشأن الصلح معهم. لكن لم يتمكن الوفد من دخول مدينة روما بسيي تعنت مجلس الشيوخ الذي رفض استقبال المبعوثين و طالبوا بتسليم المملكة و الملك للرومان مع ضرورة الامتثال التام للقوانين الرومانية مستقبلا[3]. كما قرر ارسال القائد الروماني بيستيا (Bestia)على رأس جيش قوامه 40.000 جندي سنة 111ق.م الذي تمكن من التوغل في الأراضي النوميدية المجاورة لولاية إفريقيا الرومانية لكن الملك النوميدي تمكن من توقيع صلح معه مقابل اعتراف بيستيا له بالسيادة على كامل نوميديا باستثناء مدينة لبدة الكبرى(Leptis Magna) في حين على يوغرطة أن يقدم له مبلغا زهيدا من المال و بعض المواشي و الخيول و الفيلة[4].

لقد اعتبر المؤرخ الروماني سالوستيوس أن هذه الصفقة خيانة تشارك فيها يوغرطة مع بيستيا الذي باع حسبه ذمته للملك النوميدي. و أما هذا النصر الذي حققه يوغرطة أرسل

[1]Camps(G.): Jugurtha, encyclopédie,berber,TXXVI, 2004,p. 3975.

[2]محمد البشير شنيتي: سياسة الرومنة المرجع السابق، ص 57.

[3] Salluste, Bellum Jugurthinum, XXVIII.

[4]جمال المسرحي: المرجع السابق، ص65.

مجلس الشيوخ الروماني في استدعاء قائده لإنهاء مهامه موجها له تهمة تلقي الرشوة من يوغرطة الذي طلبه هو الآخر للمثول كشاهد على ذلك[1].

إن خبرة يوغرطة السياسية التي اكتسبها خلال إقامته في روما و احتكاكه بأعضاء مجلس الشيوخ استطاع كسب تأييد البعض منهم لصالحه حيث يذكر سالوستيوس بأنه اتفق مع كايوس بيبيوس وأفشلا معا جلسة الاستماع في مجلس الشيوخ، و في هذه الأثناء التي كان يوغرطة يحارب فيها على جبهات متعددة فقد قام بتدبير حادثة اغتيال ماسيفا ابن عمه غولوسن بسبب تعاونه مع أذربعل و على إثر هذه الحادثة التي أثارت ضجة رأى أعضاء مجلس الشيوخ ضرورة عودة يوغرطة لمملكته بينما أخذوا هم في التجهيز للحرب ضده[2].

قام مجلس الشيوخ الروماني بارسال القنصل سوبرينوس ألبينوس كقائد للقوات الرومانية إلى إفريقيا للانتقام من يوغرطة سنة 110ق.م ، لكن هذا الأخير تمكن من هزيمته فعاد إلى روما ليأتي شقيقه أوليوس ألبينوس بدلا عنه فقام يوغرطة باستدراجه إلى معركة بالقرب من سيتول (يعتقد أنها بالقرب من مدينة قالمة حاليا) في جانفي 110ق.م[3] و انتصر عليه، مما دفعه للعودة إلى روما التي اختارت هذه المرة أكثر القناصل حنكة و خبرة و هو القنصل ميتيلوس الذي نزل بإفريقيا سنة 109ق.م و أعاد تنظيم جيشه من جديد مستعينا بضابطين عرف عنهما الذكاء الحاد و الدهاء السياسي و العسكري و هما ريتولوس و ماريوس لكنهما لم يستطيعا في بادئ الأمر الوقوف أما جيش يوغرطة الذي تمكن من احتلال مدينة باجة و التوغل نحو الجنوب الغربي وصولا لوادي مثول، كما استطاع أيضا هزيمتهم في مدينة زاما[4].

3ـ خيانة الملك بوكوس و نهاية ثورة يوغرطة: بعد كل تلك الانتصارات تمكن القائد ميتولوس من هزيمة يوغرطة سنة 108ق.م و يسترجع منه مدينة باجة، فاضطر يوغرطة للجوء إلى تالة و منها إلى قفصة و بعدها إلى الغرب نحو المملكة المورية مرورا بالأراضي الصحراوية أين يتواجد الجيتول الذين طلب مساعدتهم محاولا بضرورة الانضمام إليهم شأنهم

[1] Salluste, Bellum Jugurthinum, XXXIV.

[2] Ibid,XXXV.

[3] Ibid,XVII, XVIII.

[4] محمد العربي العقون: المؤرخون القدامى، غايوس كريسبيوس سللوستيوس(86ـ 53ق.م) و كتابه حرب يوغرطة، دار الهدى ، عين مليلة، 2006، ص 54.

في ذلك شأن الملك الموري بوكوس الذي زوجه بابنته و أظهر له كامل استعداده للوقوف معه ضد الرومان و فعلا استطاعا معا تحقيق عدة انتصارات كان أولها استرجاع مدينة سيرتا بعد سيطرة الرومان عليها[1].

إن لجوء القائد الروماني سولا للتآمر مع بوكوس ضد يوغرطة مقابل وعده بمنحه جزء من أراضي نوميديا بعد القضاء على يوغرطة أعمى بصيرة الملك الموري و جعله يسلم صهره يوغرطة في أواخر سنة 105ق.م لتنطفئ ثورة القائد النوميدي الذي أصبح أسطورة أبدية بالنسبة للرومان و التي دامت قرابة السبع سنوات من(112ق.م - 105ق .م)[2] لكن بلاد المغرب ستنجب في قادم الأيام أبطالا آخرين سيحملون مشعل الثورة ضد الاستعمار ويرفعون شعار إفريقيا للأفارقة كما فعل أسلافهم صيفاقص، يوغرطة.

2ـ ثورتي أرابيون و تاكفاريناس مع مازيبا.

نواصل في هذه المحاضرة حديثنا على مقاومة كل من النوميديين و الجيتوليين للاحتلال الروماني التي شكلت ظاهرة تاريخية لا يمكن تجاهلها على حد تعبير عميد المؤرخين الجزائريين الأستاذ محمد البشير شنيتي الذي يرى أن المقاومة أخذت أشكالا متعددة وبرت في صور مختلفة و هذا طبعا بتغير الظروف و المعطيات التاريخية فكما اتخذت طابع المواجهة العسكرية على يد القائد يوغرطة كما أسلفنا سابقا الذي تحدى الارادة الرومانية وعظمة جيوشها من أجل رفع شعار الوحدة للنوميد، فقد تقمصت شكل المناورات السياسية و المساومة العسكرية مثلما حدث مع يوبا الأول لتعود مع المواجهات العسكرية ذات الطابع الشعبي مثلما هو الأمر بخصوص ثورتي أرابيون و تاكفاريناس.

أولا: ثورة أرابيون: يعد أرابيون أحد أمراء نوميديا المساعدين للملك يوبا الأول الذي انهزم رفقة القائد بومبيي و أتباعه على يد قيصر في إفريقيا سنة 46ق.م كما تلاه هلاك والده ماسينيسا وهو يدافع على المملكة مما دفع الأمير الشاب أرابيون إلى الانسحاب صحبة أتباع بومبيي نحو اسبانيا لبعض الوقت على أمل العودة إلى بلده لتحريره وواتته الفرصة بعد اغتيال قيصر سنة 44ق.م ليعود صحبة رجاله المخلصين الذين رافقوه إلى ديار الغربة حيث

[1] محمد الهادي حارش: مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2013م

[2] محمد حسين فنطر : يوغرطة من ملوك شمال افريقيا و أبطالها، الدار التونسية ، تونس، ص269.

وجد قومه في انتظاره الأمر الذي ساعده كثيرا في تعبئتهم و الشروع فورا في القيام ببعض الأعمال العسكرية لمطاردة رجال سيتيوس من جهة و قوات بوكوس الثاني من جهة ثانية نظرا لاحتلالهم هم أيضا لأجزاء من نوميديا الغربية التي منحوا إياها كمكافئة لهم على انضمامهم للحزب المنتصر (كحلفاء قيصر)[1].

تمكن أرابيون في بادئ الأمر من إلحاق الهزيمة بالمحتلين من جيش المرتزق سيتيوس الذي قتله سنة 43ق.م لكنه لم يتمكن من تحرير مدينة سيرتا التي تحصنوا بها ، بينما تمكن من تحرير بعض المدن و القرى النوميدية التي كانت تحت سيطرة القوات الموريطانية المرابطة بها، ليحرر بذلك أجزاء هامة من الأراضي النوميدية التي تم احتلالها[2].

لقد حاول آرابيون أن يستفيد هو الآخر على غرار من سبقه من النزاع القائم بين حاكمي مقاطعتي إفريقيا القديمة و الجديدة متبعا في ذلك سياسة المناورة و التظاهر لكل من الفريقين بالتأييد و المناصرة، و هذا لكسب الوقت الكافي الذي كان يحتاجه في تحريره للمناطق المذكورة أعلاه ليفرض بذلك نفسه كملك قوي يستحق العرش النوميدي.

صحيح أن أرابيون قد نجح في مهمته على المستويين الداخلي و الخارجي لبعض الوقت بواسطة استقطابه لعناصر الثوار و توحيد كلمة شيوخ القبائل فجند الرجال و أعد الجيش وتمكن من هزم أعدائه في معارك خاطفة، تمكن من خلالها تقوية الروابط الحضريين و الريفيين الذين اجتمعوا فقويت قراهم و مدنهم حيث امتنعت عن الأعداء إلا بعد حصاره الطويل لها مثل زاما ريجيا[3].

و نظرا لدخول أرابيون لعبة الصراع السياسي بين حاكمي ولايتي إفريقيا القديمة والجديدة فقد تسبب الأمر في اغتياله من قبل حاكم الولاية الجديدة مدعيا أنه اشتبه عليه. ونظرا لعدم حصولي على المعلومات الكافية حول شخصية أرابيون و مراحل ثورته لذلك يبقى باب البحث عن تلك المعلومات مفتوحا في انتظار الحصول على المزيد منها في قادم الأيام لتبقى معها صورة الثائر أرابيون كبطل نوميدي غير مكتملة الملامح لكنها تكفي لغرس روح

[1] محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 83

[2] محمد البشير شنيتي : المرجع نفسه، ص 84

[3] محمد البشير شنيتي: المرجع نفسه، ص 84.

الوطنية و الشعور بالاعتزاز كلما تذكر أبناؤنا أسلافهم الذين رفضوا الاستعمار بشتى أصنافه[1].

ثانيا: ثورة تاكفاريناس: قبل البحث عن أسباب هذه الثورة و دراسة أهم مراحلها رأينا أنه من المناسب تحديد مجالها الجغرافي أولا مع ذكر أهم الاستراتيجيات المتبعة فيها.

1ـ المجال الجغرافي للثورة و الاستراتيجية المتبعة فيها : تعتبر ثورة القائد الموزولامي تاكفاريناس من أكثر الثورات الشعبية قوة ضد المستعمر الروماني سواء من حيث الفترة الزمنية التي قاربت السبع سنين (17ـ24م) أو من حيث انتشار مجالها الجغرافي الذي شمل المناطق الداخلية في نوميديا وموريطانيا القيصرية زيادة على المناطق الواقعة جنوبي المقاطعة البروقنصلية وصولا إلى ضواحي السيرت الصغرى[2].

يبدو أن اتساع جبهات القتال عبر مختلف مناطق المجال الجغرافي المحدد أعلاه أعطى الثورة صفة الشمولية التي افتقدتها الثورة السابقة الذكر، إن توظيف تاكفاريناس لخبرته العسكرية التي اكتسبها أثناء عمله كجندي في إحدى الفرق المساعدة في الجيش الروماني جعلته يرك على تدريب الثوار على أساليب القتال التي كان يعتمدها الجيش الروماني و هذا طبعا دون تخليه عن الأساليب المعروفة في الحرب لدى النوميديين و المقصود هنا حرب العصابات التي تعتمد أساسا على الكمائن و الكر و الفر و هي التي تتماشى و الطبيعة الجغرافية[3].

كما أن جمع تاكفاريناس بين التحضير العسكري و العمل الديبلوماسي القائم على كسب تأييد الحلفاء من القبائل المجاورة للمزالمة و هذا طبعا لم يضفي على ثورته فقط طابع الشمولية بل قام بحمايتها من جميع الجهات لأن كسب تأييد مازيبا و بعض قبائل المور من جهة الغرب و قبائل الكنتيين من الشرق هذا فضلا عن استمالة قبائل التخوم الصحراوية

[1] محمد البشير شنيتي : أضواء على تاريخ الجزائر، المرجع نفسه، ص85.

[2] Benabou(M.), La résistances Africaine a la romanisation, Paris, 1976.p.p.78.

[3] محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 1999، ص 55.

جنوب المقاطعة الافريقية و الموريطانية، الأمر الذي جعل الرومان مجبرين فعلا على الحرب في جبهات متعددة[1].

2ـ أسباب الثورة: ليس بعدا عن السبب الرئيس الذي دفع كل القادة و الأمراء السابقين لإعلان الحرب ضد الاحتلال الروماني ذو الطابع الاستيطاني بالدرجة الأولى و اشتراكهم في حقدهم الكبير على الذي تسبب في الاستيلاء على أراضيهم و تهجيرهم منها(كلنا نعلم مدى تمسك القبائل بالأرض منذ القديم و حتى الوقت الراهن)، حيث يرى مارسال بن عبو أن الظروف السياسية التي مرت بها تكوين المقاطعتين الافريقيتين ثم دمجهما معا لانشاء مقاطعة البروقنصلية وما نتج عن ذلك من تشجيع الاستيطان و تكريس الهيمنة الرومانية خاصة خلال فترتي حكم الامبراطوريين أكتافيوس و تيبيريوس معتبرا إياها من أسباب ثورة تاكفاريناس[2].

أضف إلى ذلك احتكاك قائد الثورة شخصيا بالعنصر الروماني أثناء عمله كجندي في الجيش الروماني و ما تركه من أثر في نفسيته التي جعلته عدوا للسياسة الرومانية الداعية للاستيطان على حساب العنصر الأهلي.

بينما رأى أخرون أن السبب كان مرتبطا بشق الرومان للطريق الاستراتيجي الرابط بين مدينة تبسة و قابس مرورا بحيدرة و قفصة وذلك سنة 14م.أي بعد استقرار الفيلق الأغسطي الثالث في حيدرة قبل تنقله إلى تبسة مما ضيق على القبائل المزولامية خصوصا و الجيتولية عموما حركتها و تنقلها خاصة فيما يتعلق بأنصاف البدو منهم[3].

إن دعوة تاكفاريناس للإمبراطور تيبيريوس لإعادة الأراضي المسلوبة من أصحابها وتهديده بحرب لا رجعة عنها[4] الأمر الذي أثار حفيظة المؤرخ الروماني تاكيتوس و جعله متحاملا على شخص تاكفاريناس، علما أن تاكيتوس هو الوحيد من أرخ في حولياته لثورة تاكفاريناس بشيئ من التفصيل.

---

[1] Tacite: Annales, II, 52, Benabou(M.),Op.cit.p. 78.

[2]Benabou(M.),Ibid.p. 76.

[3]جمال مسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني ثورة تاكفاريناس في الاوراس 17ـ24م نموذجا، أشغال الملتقى الوطني الثاني بخنشلة يومي 4 و 5 مارس 2014، منشورات المتحف العمومي الوطني الاخوة الشهداء بولعزيز ، ص 321.

[4] Tacite: Annales,III,LXXIII.

3 ـ مراحل الثورة: مرت ثورة تاكفاريناس بثلاثة مراحل هي:

3 ـ 1ـ مرحلة جس النبض: حاول فيها تاكفاريناس الاستعداد للحرب ـ كما سبق و أشرنا ـ عن طريق اقامة تحالفات مع القبائل المحيطة به كما قام بإسناد مهمة قيادة الفرق الخفيفة لقائد المور مازيبا في حين احتفظ لنفسه بقيادة فرق الفرسان المدربة على الأساليب الرومانية في القتال يقول تاكيتوس:(... **أن تاكفاريناس قد استأثر بخيرة الفرسان و المشاة و أخذ يعودهم حسبه على الانضباط رغبة منه في تكوين نخبة من الجيش تضاهي في تكوينها الجيش الروماني بينما تكفل نظيره مازيبا بجمع باقي العناصر المشكلة من عصابات مكلفة بزرع الرعب و الهلع و القيام بالمجازر و الاغارة على مواقع الرومان...)**[1].

يبدو من النص أعلاه تحامل تاكيتوس غير البرر على القائد الموزولامي من خلال وصفه لهم بالعصابات و غيرها من الألفاظ الدالة على التمرد لا على الثورة .

المهم أنه بعد استكمال كل التحضيرات قاد تاكفاريناس النوميديون إلى أول معركة لهم ضد الجيش الروماني سنة 17م بالقرب من وادي ميتول الذي كان تحت قيادة البروقنصل فوريوس كاميليوس مدعوما بفرق مساعدة . لم يذكر تاكيتوس تفاصيل كثيرة حول هذه المعركة التي توج فيها البروقنصل فوريوس كاميليوس بوسام نصر غير مقنع لدى الرومان أنفسهمو في المقابل انهزم جيش تاكفاريناس على الرغم من التحضير الجيد للحرب[2].

يبدو أن المسألة تتعلق بعدم تكافئ في الإمكانيات المادية بين الطرفين لأن تراجع تاكفاريناس بعد هذه الهزيمة إلى المناطق الداخلية لإعادة تنظيم صفوفه و قد استغرق ذلك منه طيلة الفترة الممتدة من سنة(18 إلى 20م) هذه الفترة التي لم تذكر فيها المصادر حدوث أية أعمال عسكرية بين الطرفين، لكننا لا ندري فيما إذا كانت مرحلة هدنة أم لا؟ و هو ما يثبت أن الأمر ينتابه الغموض لأنه بعد انهزام تاكفاريناس كان من الواجب على القنصل الاستمرارية في ملاحقته و اجباره على الاستسلام فلما لم يفعل ذلك[3]؟ . هذا يعني أن انتصار الرومان لم يكن حقا مقنعا و أنهم وجودا صعوبة كبيرة في التغلب على خصمهم

[1]Tacite: Annales, II, LII.

[2]محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 56.

[3]جمال المسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، المرجع السابق، ص 112.

مما جعلهم يفتقدون للقوة الكافية التي تضمن لهم الاستمرار دون الحاجة إلى اعادة تنظيم صفوفهم من جديد.

3ـ 2 ـ مرحلة الند للند أو التوازن: عرفت هذه المرحلة تغييرا واضحا في ميزان القوى بين الطرفين الذي وقف متوازنا، حيث عرفت فيها الثورة اتساعا و شمولية جعلتها تصل من خليج السيرت شرقا إلى أعمدة هرقل غربا[1]، ففي سنة 20م و بعد انتهاء الهدنة غير المعلن عنها رسميا تمكن تاكفاريناس من الحاق الهزيمة بالقائد ديكريوس الذي كان على رأس احدى الفرق المساعدة الرومانية المرابطة في قلعة بالقرب من نهر باجيدا حيث لم يسلم من الموت إلا من فضل الفرار و لما علم القنصل الجديد أبرونيوس المعين سنة18م بهزيمة جيشه قرر الدخول في المواجهة مع تاكفاريناس في الأوراس بعد أن عزز جيشه بخمسة ألاف جندي أغلبهم من قدماء كتائبه المدربة جيدا ، كما قام باستدعاء الفرقة التاسعة الاسبانية التي وصلت إلى إفريقيا تدعيما للجيش الروماني مما يؤكد خطورة الوضع بالنسبة للرومان[2].

استطاع تاكفاريناس و فرقه المقاتلة أن يستولوا على مناطق و مراكز عسكرية جديدة في شمالي و شرقي الأوراس نذكر منها حصن تالة ،هذه الأخيرة التي عرف فيها تاكفاريناس هزيمة نكراء حسب ما أورده تاسيت على يد البروقنصل أبرونيوس كما برز في المعركة أيضا حسبه جندي بسيط يدعى إليفيوس روفوس الذي تلقى هو الأخر التهاني من قبل الامبراطور، أما تاكفاريناس فقد انسحب إلى السهول المحاذية للسواحل الجنوبية التونسية أين لاحقه نفس القنص ملحقا به هزيمة أخرى دفعته للفرار مجددا إلى الصحراء المتاخمة لجنوب الأوراس[3].

أما مازيبا فقد واصل بدوره هجماته على مراكز العدو في موريطانيا و كان لحرب العصابات تلك أثر بليغ على الجانب الروماني سواء تعلق الأمر بالخسائر العسكرية في صفوق الجند أو على مستوى الذخائر. إن توزيع فرق المقاتلين النوميديين عبر مجال

---

[1]محمد الهادي حارش: ثورة تاكفاريناس 17-24م،مجلة الدراسات التاريخية ، ع9، 1995،ص 131.

[2]محمد الصغير غانم: بعض ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الاول الميلادي (ثورة تاكفاريناس أنموذجا)،حولية المؤرخ، الجزائر 2002، ص 20.

[3]Tacite: Annales, III,XXI

جغرافي واسع فرض على الرومان تقسيم قواتهم مما سهل المهمة على الثوار لأن عددهم كان قليلا مقارنة بعدد العدو[1].

إن تهديد تاكفاريناس للامبراطور دفع هذا الأخير إلى اختيار القنصل الكفء الذي يستطيع انفاذ هيبة روما و يعيد لها اعتبارها فتم تكليف المدعو ك.يونيوس بليوس الذي غير أسلوب قتال الجيش الروماني بما يتناسب و طرق النوميد في القتال القائمة أساسا على الوحدات السريعة الحركة، حيث قسم جيشه إلى ثلاث وحدات الأولى تحت قيادة كورنيليوس و هو قائد الفرقة التاسعة الاسبانية التي أكلت لها مهمة منه وصول الدعم من قبائل الغرامنت و حماية لبدة و خليج السيرت بينما كلفت الثانية بالدفاع عن سيرتا، أما الثالثة فطلب منها التموقع للدفاع عن تيفاست و أمايدرا [2]، كما انتهج سياسة فرق تسد بمنحه العفو عن العناصر التي تتخلى عن سلاحها و تساعد الرومان في مهمتهم كما وعدهم بمكافئات مغرية. الأمر الذي مكنه من تحقيق بعض الانتصارات خلال سنتي 22- 23م ومع ذلك لم يستطع القضاء نهائيا على الثورة[3].

لقد حملت سنة 23م جملة من التغيرات السياسية و العسكرية التي كانت في صالح المقاومة نذكر منها موت الملك الموري يوبا الثاني الذي كان سندا و حليفا وفيا للرومان مما أخلط أوراقهم خاصة أن خليفته بطليموس لم يكن كفئا مما أثار سخط رعياه عليه و على حلفائه الرومان بالمقابل أبدوا تعاطفهم و ميلهم للثوار و أتباع تاكفاريناس و الزعيم الموري مازيبا ، كما أمر الامبراطور في نفس السنة أيضا بعودة الفرقة الاسبانية التاسعة لأراضيها[4].

إن استغلال تاكفاريناس لكل تلك الظروف لصلح الثورة عن طريق اشاعته بين أفراد جيشه أن قوة الرومان بدأت تتراجع أما قوى خارجية و لذلك فهي مجبرة على الخروج من إفريقيا و عليه فإنه بإمكان جيشه القضاء على ما تبقى من جنودها إذا بذل الباحثون عن حريتهم جهودا أكبر ضدها[5].

---

[1] Benabou(M.),Op.cit.p. 80..57 محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال ، المرجع السابق، ص

[2] Tacite: Annales, III,LXXIII.

[3] محمد الصغير غانم: بعض ملامح ثورات التحرير، المرجع السابق، ص 21.

[4] جمال المسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني، المرجع السابق، 333.

[5] Tacite: Annales,IV,XXIV.

يبدو أن تاكفاريناس قد نجح في الرفع من معنويات جيشه كما نجح أيضا في بث روح المقاومة لدى قبائل الغرامنت الذين سارعوا لتزويدهم بالرجال و احتضانهم في حال اللجوء إليهم. الأمر الذي دفع بالرومان لتغيير قيادة البروقنصلية من جديد و تعيين القنصل ب . كورنيليوس دولابيلا (23ـ24م) حاول هذا القنصل الجديد الاستفادة من أخطاء سابقيه في قيادة العمليات العسكرية ، حيث لجأ إلى نفس أسلوب النوميد و هو حرب العصابات كما قام بتدعيم بناء القلاع و الحصون و أبراج المراقبة على طول الخطوط الدفاعية التي أقيمت في عهد بلايوس في نوميديا ، مما دفع تاكفاريناس يقدم على حصار مدينة تبرسكوم نوميداروم (خميسة حاليا) غير أن دولابيلا تمكن من تفريق الجيش النوميدي بعد هزيمته التي جعلته ينسحب غربا نحو منطقة جبال البيبان التي بدأت هي الأخرى تشهد تشييد مستوطنات ومزارع رومانية على أراضي أخذت من أصحابها لتمنح للايطاليين، الأمر الذي جعلهم يلتفون حول تاكفاريناس و يناصرونه[1].

أن تلقى تاكفاريناس الدعم جعله يواصل حربه محاولا هذه المرة حصار مستوطنة تكلات الواقعة غرب صلداي (بجاية حاليا) إلا أن تحصيناتها حالت بينها و بين تاكفاريناس الذي انهم بالقرب منها، بعدها أخذ سير الحرب منحا معاكسا لطموح تاكفاريناس ممهدا لتراجع قوة هذه الثورة التي أثقلت كاهل الرومان[2].

3 ـ 3 مرحلة التراجع و نهاية الثورة: إن نجاح القنصل دولابيلا في حياكة المؤامرات و الدسائس بتوظيف بعض القادة الموريين للعمل تحت امرته جعلته ينجح في ملاحقته لتاكفاريناس من جهة و بث الرعب في القبائل الحليفة لتاكفاريتاس من جهة ثانية ، هذا الأخير الذي انسحب إلى مدينة أوزيا(سور الغلان حاليا) أين دارت معركة طاحنة بينه و بين الرومان أسر فيها نجله بينما فضل هو الموت على أن يأخذ أسيرا فواصل القتال بالرغم من جراحه البليغة إلى أن لقي مصرعه[3]، ليسدل معه الستار على أول ثورة شعبية صعبت على الرومان العيش بسلام في الأرض الافريقية. أما باقي النماذج من المقاومات و الثورات التي

[1] Cagnat (R.), L'Armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, ed. Leroux 1913,p.20.

[2] Cagnat (R.),Ibid.,p. 21

[3] Benabou(M.),Op.cit.p. 82.

لا يسعنا التفصيل فيها في هذا المقام سنكتفي بذكرها و التفصيل فيها في التطبيقات من بينها ثورة جيلدون ، ثورة إيدمون...)

في الأخير يمكننا أن نستنتج مدى تمسك المغاربة القدامى سواء كانوا نوميدا أو غرامنتيون أو جيتولا أو مورا بكل شبر من هذه الأرض الطيبة ووقوفهم في وجه الاستعمار الروماني خير دليل على تكاثفهم ووحدتهم في الأوقات الصعبة على الرغم من امكانياتهم البسيطة مقارنة بامكانيات خصمهم إلا أن إيمانهم بوحدتهم و انتمائهم جعلهم يعطون للأجيال القادمة دروسا وعبرا في تمسكهم بأحد عناصر هويتهم و انتمائهم و هي أراضيهم أو مواطنهم الأصلية.

المحور الرابع: المسيحية الافريقية.

المحاضرة الثامنة: أسباب و عوامل انتشار المسيحية في بلاد المغرب وظهور المذهب الدوناتي.

رابعا: المسيحية الافريقية. سنعالج في هذه المحاضرة لمحة عامة عن انتشار الديانة المسيحية في شمال إفريقيا موقف السلطة الرسمية منها ثم بدايات الانقسام الديني وظهور الحركة الدوناتية أو المسيحية الافريقية.

1: لمحة عن المسيحية و عوامل انتشارها في شمال إفريقيا: يجمع المؤرخون على أن الدين المسيحي[1] ظهر لأول مرة في فلسطين على لسان سيدنا عيسى عليه السلام ثم انتشر على يد الحواريين الاثني عشر الذين انتشروا في جهات العالم المختلفة ليبشروا بهذا الدين ، كما أجمعوا أيضا على انتهاجهم للسرية اتقاء منهم للاضطهادات التي كانوا معرضين لها، أما بخصوص كيفية دخول هذا الدين إلى بلاد المغرب القديم فقد اتفقوا حول الدور الكبير الذي لعبه التجار الشرقيون في نقله إلى المدن الساحلية الكبرى مثل قرطاجة هدرموت (سوسةحاليا)اللتين كانتا ملتقى للبحارة التجار القادمين من مختلف أنحاء مدن المتوسط خاصة المشرقية منها[2].

لم يعثر المؤرخون أو الأثريون على أدلة كتابية أو أثرية تشير إلى تاريخ محدد لدخول المسيحية إلى شمال إفريقيا باستثناء النص التاريخي لابن خلدون الذي أشار فيه إلى بعض أسماء الحواريين و المناطق التي ذهبوا إليها من بينها إفريقيا ،أرض برقة و البربر على حد تعبيره في قوله: **(... و إلى أرض إفريقيا قيلبس... و إلى أرض برقة و البربر يشمعون القناني)**[3]. يبدو أن قيبس قد نزل بمنطقة البروقنصلية(قرطاج) و يشمعون القناني اختار ليبيا، علما أن مصير كليهما بقي مجهولا لدى المؤرخين، و المهم أنهما قد استقطبا أتباعا كثرا قاموا هم أيضا بنشر الدعوة في أوساط المجتمعات الريفية في المناطق الداخلية فيما

[1] الدين المسيحي أو المسيحية و هي تلك التعاليم الدينية التي جاء بها سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذي سميت باسمه، حيث بدأ يبشر برسالته من أرض الجليل بفلسطين التي كانت انذاك ولاية رومانية، و على الرغم من أن سيدنا المسيح قد رقع في الثلاثة و الثلاثين من عمره إلا أن تلاميذه من بعده قد واصلوا نشر تعاليم دينه في كافة أنحاء الامبراطورية الرومانية و العالم . ينظر: محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب، المرجع السابق، ص 265، عبد الحميد عمران:حركة التنصير في شمال إفريقيا خلال القرنين الثاني و الثالث الميلاديين، مجلة دراسات تاريخية ، ع ع 115، 116، أيلول كانون الأول، 2011، ص 188.

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 266.

[3] عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، تح خليل شهادة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ص 173.

بعد[1]، حيث يشير نص لترتليانوس جاء فيه أن فضيلة الرب قد انتشرت في مختلف الأرجاء و أن عدد المؤمنين بها قد زاد عند مختلف الفرق الجيتولية و عند قبائل كثيرة تسكن تخوم موريطانيا[2].

واعتمادا على ما ذكره ترتليانوس بخصوص أماكن انتشار المسيحية في الحقول والقصور المحصنة وفي الجزر حيث ينتشر المسيحيون من الجنسين و من كل الأعمار على حد تعبيره، فإنه يمكن القول أن المسيحية قد انتشرت في بلاد المغرب بصورة عفوية في بعض الأحيان و بواسطة مبشرين مبعوثين أحيانا أخرى. أي أن دخولها و انتشارها قد مر بمرحلتين حيث كان دخولها في المرحلة الأولى إما برا عبر مصر أو بحرا عبر المناطق الساحلية وهو رأي الأغلبية بغض النضر عن طرق الدخول(عن طريق المبشرين أو بواسطة التجار السوريين كما أسلفت) ثم تم انتشارها في المرحلة الثانية عن طريق أتباع لها من المنطقة اقتنعوا بها و هذا طبعا على الرغم من محدودية ذاك الانتشار في البداية الناتج عن اتباع مريديها للسرية في العمل و هو ما يبرر ندرة الأدلة الكتابية أو المادية[3].

إن اتباع الأباطرة الرومان لسياسة الاضطهاد اتجاه المسيحيين و أتباعهم منذ البداية حيث تم قطع رأس اثني عشر مسيحيا في شهر جويلية 180م في مدينة صغيرة تدعى شيلي في عهد الامبراطور كومودوس[4]، لكن هذا لم يثن عزيمة المسيحين الذي استمروا في تقديم قوائم كثيرة العدد من الشهداء فقد أظهرت نقوش عثر عليها في قرطاج و في دقة كالما وغيرها من مدن مقاطعة البروقنصلية كتب فيها أسماء لشهداء راحوا ضحيا الاضطهادات المتكررة ضدهم من بين أولئك الأباطرة مثلا نذكر الإمبراطور فاليريان (Valirien) (و هو أحد الأباطرة الرومان حكم ما بين (253ـ 259م) عرف بعدائه الشديد للمسيحية ، حدثت في عهده الكثير من الاضطهادات التي خلفت المئات من الشهداء المسيحيين من مختلف مدن مقاطعتي البروقنصلية و النوميديا.)[5]، حيث عثر مثلا في كالما على نقيشة ذكر فيها

[1] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، ص 266.

[2] ترتليانوس: المنافحة (دفاع عن التوحيد) ، تر عمار الجلاصي ، طرابلس 2001، ص 78.

[3] عبد الحميد عمران: المرجع السابق، ص 166.

[4] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتملاعية، المرجع السابق، ص 274.

[5] رؤوف شلبي: أضواء على المسيحية ، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1975، ص 26.

شخصين استشهدا خلال اضطهاد ثلاثمائة مسيحي(300) من قبل في ما يعرف بالمجموعة البيضاء(Manssa Candida)[1].

يبدو أن مقاطعتي البروقنصلية نوميديا هي أكثر المناطق التي قدمت أعدادا كثيرة من الشهداء نظرا لانتشار المسيحية فيها لدى البسطاء من الأهالي سكان المناطق الريفية الفقيرة الذين كانوا يحاولون حتما البحث عن العدالة الاجتماعية التي لم تتوفر لهم طريق عبادة آلهتهم الوثنية المكرسة للطبقية و التمييز الاجتماعية و التفاضل بين بني الانسان، الأمر الذي يدفعنا ربما للقول أن العامل الاجتماعي هو أكثر العوامل تشجيعا على سرعة انتشار المسيحية في شمال إفريقيا نظرا للظروف و الأوضاع الاجتماعية المزرية و ما يترتب عنها من تدهور في الأوضاع الاقتصادية أو العكس صحيح أيضا أي تأثير الأوضاع الاقتصادية على الواقع الاجتماعي ، المهم أن هذان العاملان فعلا كان لهما الأثر الكبير فيما يخص تهيئة السكان المحللين خاصة لتقبل المسيحية و المساهمة في نشرها على الرغم من العراقيل التي وقفت ضدهم سواء من طرف السلطة الرسمية في بادئ الأمر أو من المتشددين من الوثنيين خاصة الارستقراطيين منهم[2].

لقد لاحظنا في المحاضرات السابقة كيف تعامل الرومان مع الأرض الافريقية و طرق تقسيمها فيما بينهم و تهجيرهم للسكان الأصليين الذين حرموا من أراضيهم التي أصبحوا عمالا أجراء فيها أو حتى عبيدا فيها، في المقابل تم استغلال كل ثرواتهم من قبل المعمرين الجدد القادمين من روما، إن انتهاجهم لسياسة رومنة الاقتصاد الافريقي ووضعه في خدمة الفرد الروماني عن طريق ربطه بالاقتصاد الروماني ضرب فعلا البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الافريقية الامر الذي هيئها لتقبل الدين الجديد كما أسلفت لأنها ترى فيه خلاصها من كل ذلك الظلم و القهر.

اضافة إلى العاملين السابقي الذكر يمكننا أيضا الوقوف على ذلك الفراغ الروحي الذي أصبح الأهالي يعانون منه بسبب التمييز و العنصرية التي طالت حتى آلهتهم التي كانوا

---

[1] Gsell (St.), I.L.ALg., T1, 276.

يوسف عيبش: الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي دكتوراه دورلة في التاريخ و الآثار ، جامعة منتوري قسنطينة، 2008، ص 421، محند آكلي اخربان: المرجع السابق، ص268

[2] محمد البشير شستي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 268.

يعبدونها حيث كان هناك فارق واضح بين عبادة بعض الآلهة المحلية التي اعتبرت أجنبية مقارنة بالآلهة الرسمية الرومانية من حيث المناصب الدينية لأتباعها و طرق الاحتفال بها فقد كانت تقام احتفالات كبيرة في أعياد الآلهة الرسمية الرمانية في حين لم تحظ المحلية بنفس الاهتمام، الأمر الذي جعل الهوة بين الطبقات تزداد عمقا على الرغم من محاولة الأباطرة تدارك الأمر بملأ ذلك الفراغ الروحي بتكريس عبادة الامبراطور التي ادت الطين بلة.

ان اعتماد المسيحيين على الطرق الانسانية كالتضامن و التآزر الاجتماعي و هي أسس أخلاقية عملت على تقوية إيمان الافراد بالبحث عن الحرية و الخلاص في هذا الدين الجديد أين وجدت الطبقات المحرومة في المجتمع نفسها معززة مكرمة لا تفاضل فيما بينها والتمييز كل تلك العوامل مجتمعة كانت وراء انتشار المسيحية بشكل سريع وواسع في شمال إفريقيا[1].

2ـ موقف السلطة الرسمية من المسيحية: قسم الباحثون مواقف السلطة الرومانية من حركة التنصير المسيحي التي شهدها المغرب القديم على مرحلتين ، وصفت المرحلة الأولى بالعداء و تمتد منذ ظهور هذه الديانة بالمنطقة إلى بداية القرن الرابع أين تغير موقف السلطة في المرحلة الثانية إلى التنصر و الاحتواء بدل الاضطهاد و العداء و ذلك منذ سنة 311م

2ـ 1ـ مرحلة العداء و الاضطهاد: و تنقسم بدورها إلى فترتين هما فترة العداء المتقطع و فترة العداء الشديد.

2ـ1 ـ 1 فترة الاضطهادات المتقطعة : تبدأ هذه المرحلة مع بداية حكم نيرون الذي حمل مسيحيو روما مسؤولية الحريق الذي شب بها سنة 64م لتبدأ بعدها سلسلة الاضطهادات الواسعة و التي زادت من حدة الصراع بين السلطة و الكنيسة خاصة أن ممثلو هذه الأخيرة قد رفضوا المشاركة في الخدمة العسكرية و عارضوا الذهاب للحروب لما تجلبه في نضرهم من المعاناة و الأسى، كما نددوا برفضهم كل أشكال الخضوع و التأييد للسلطة الوثنية الأمر الذي دفع بالأباطرة للقيام ضدهم بسلسلة من الاضطهادات خلال القرنين الأول و الثاني الميلادي قدم فيها مسيحيو المقاطعات الافريقية العشرات من الشهداء، تلتها بعض الأحداث

[1] عبد الحميد عمران : المرجع السابق، ص 169.

الأكثر دموية مع نهاية النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد مع بداية حكم كومودوس (176ـ 192م) والاعدامات التي قام بها خلال سنة 180م[1].

لكن ذلك لم يوقف عجلة التبشير بالدين الجديد الذي وقف أتباعه صامدين رغم الاضطهاد و العنف بل زاد ذلك من اصرارهم و اقبالهم عليه أكثر مع مطلع القرن الثالث الميلادي الذي زاد فيه عددهم لدرجة أنه أعج الوثنيين الذي حملوا على عاتقهم العداء للمسيحيين فتعالت أصواتهم مطالبة بدرء الخطر الداهم الذي أصبح في نظرهم يهدد أمن واستقرار الامبراطورية الرومانية و نظرا لتحالف السلطة مع الوثنيين الذين ألقت أيديهم ضد المسيحيين فهناك من لم يستطع التحمل و ارتد الكثير من الأتباع خلال عهد القديس قبريانوس أسقف قرطاجة خاصة[2].

قد ذهب أباطرة النصف الثاني من القرن الثالث إلى استعمال عقوبات أقسى من سابقتها تصل في كثير من الاحيان إلى القتل بواسطة رمي التهم الجزافية كالتآمر على الحاكم ورفض تنفيذ الأوامر و التحريض على العصيان خاصة إذا كان المتهم جنديا في صفوف الجيش الروماني و غيرها من أجل الزج بهم أمام القضاء للحكم عليهم إما بالإعدام أو غيره من العقوبات الردعية بهدف حمل الأنصار على التردد وبث الرعب و الهلع وسط المسيحيين، مما دفع بالكثير منهم إلى اللجوء للرشوة أو الاعلان عن ردته في الساحات العمومية الأمر الذي سكك في مصداقية الأتباع الجدد من جهة و أثار اشكالية تعامل الكنيسة مع المرتدين، حيث حاول بعض القساوسة معالجة الأمر بإعادة تعميدهم من جديد[3].

إن مسألة إعادة تعميد المرتدين من المسيحيين عقدت من أجلها المجامع الكنسية في قرطاج خلال الفترة الممتدة من 253ـ 256م اجتمع فيها عدد من أساقفة البروقنصلية ونوميديا و حتى من موريطانيا خلال المجمعين الأخيرين و هذا لدراسة مسألة الهرطقة (أهل البدع) الذين يقصدون الكنيسة للتعميد أو التطهير و بعد جلسات من النقاش اتفق الجميع على التعميد الأول للمرتد يعد لاغيا و لا يصح إيمانه إلا بتعميد جديد ، حيث قال

[1] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 274.

[2] عبد الحميد عمران: المرجع السابق، ص 175.

[3] شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية،ج 1، تر محمد المزالي و البشير بن سلامة، ط2، الدار التونيسية للنشر و التوزيع، تونس 1968، ص 256.

قيبريانوس الذي ترأس الاجتماع :" **إنني لا أعتقد إلا بوجود تعميد واحد داخل الكنيسة يعبر عن حقيقة الرجاء و حقيقة الايمان**"[1].

لما أبلغ البابا إيتيان الأول(Etienne I) بقرارات المجمع رفضها ذلك أن كنيسة روما لا ترى ضرورة من إعادة التعميد للمرتدين و الهراطقة، الامر الذي فتح باب الخلاف بين الكنيستين في كل من روما و قرطاج[2].

أما بخصوص أمر الاضطهادات فقد استمرت على أشدها حيث قدمت مقاطعة نوميديا الكثير من النقوش التي كانت تحمل أسماء عدد من سكان الجيتول في جنوبها كشهداء، كما بينت الحفريات الأثرية التي أجريت بعدد من مناطق البرقنصلية و نوميديا العديد من القوارير و المذابح التي كانت تحمل أثارا من الشهداء و بقايا لهم هذه الأخيرة التي تم تقديمها للناس على أنها مقدسة لذا كانت تستعمل لأغراض استشفائية حيث يذكر في هذا المجال بأن الأسقف بوسيديوس قدم من المشرق و هو يحمل معه بعض بقايا القديس الشهيد إتيان(St. Etienne) التي تسببت في شفاء أحد الكهنة بمدينة كالما اسمه أوكاريوس(Eucarius) بعد رؤيته لها[3].

بعد كل هذه الاضطهادات حدثت فترة سلم دامت حوالي الأربعين سنة تمكن المسيحيين فيها من إعادة تنظيم أمورهم و نشر عقيدتهم، كما تمكنت السلطة أيضا من الاستفادة من هذه الهدنة بمحاولتها امتصاص العناصر المؤثرة في ذلك عن طريق إعفاء الاشراف من واجب عبادة الامبراطور كما غضت الطرف عن بناء الكنائس و اقامة الشعائر ، فانخرط الكثير من المسيحيين في الجيش و في الوظائف العامة دون أي معارضة من الكنيسة لأن

[1] عبد الحميد عمران: المرجع السابق، ص 178.

[2] عبد الحميد عمران: المرجع السابق، ص 178.

[3] تجدر الاشارة إلى أن بقايا أو رفاة القديس إتيان كانت موجودة بعدة بازيليكات المدن التالية هيبون كالما و تاقاست ينظر: Le chanojen(J.), Ancienne revêches et Ruines chrétiennes de la Numidie et de la sitifienne, R.S.A.C., 1912, éd., Regné Roger , librairie africaine et coloniale , Paris, 1913 Ancienne revêches,p. 20, Marrou (A.I), La basilique Chrétienne d'Hippone d'après le résultat des dernières fouiller , communication de la III international conférences en patristique studies, Oxford, 22, 24, septembre, 1959, p.152.

فلسفة مسيحيو هذه المرحلة لم تعد كفلسفة السابقين الأولين الذين كانوا يبتعدون عن الدنيا وينتظرون فقط في يوم القيامة[1].

2-1- 2- مرحلة العداء الشديد: انتهت فجأة مرحلة الهدنة التي ساد فيها التسامح بين المسيحيين و السلطة بعد تولي الامبراطور دقلديانوس(284-305م) الحكم و الذي أرغم المسيحيين على تقديم شواهد الولاء أمام الجميع، في حين ذهب البعض منهم إلى شراء بطاقات الولاء و ازداد بذلك عدد المرتدين، كما أصدر أيضا أمرا بضرورة تقديم جميع السكان القرابين للآلهة الوثنية ومن لا يفعل ذلك يعتبر مسيحيا مما دفع ببعض من الأتباع تقديم شهادات مزورة غلى أنهم وثنيون. حيث أصدر أربعة مراسيم هامة بين 303- 304م تضمنت منع الاجتماعات و تجمعات المسيحيين و هدم الكنائس و مصادرة وثائق النصارى و اتلاف كتبهم المقدسة و ارغامهم على التضحية في أعياد الامبراطور و أمر أيضا بإلحاق عقوبات قاسية وصلت إلى حد الاعدام حرقا ضد المخالفين لأوامره[2].

كما أصدر أمرا لقادة الجيش كي يجبروا كل عناصره للعودة للوثنية و ترك المسيحية ، مما خلف استياء الكثير من الجند المسيحيين الذين فر أغلبهم ابتداء من سنة 295م، حيث عبر أحد الجنود بمدينة تبسة عن رفضه علانية عندما صرخ في وجه البروقنصل **قائلا: (... لا يمكن أن أخدم الجندية ، لا يمكن أنا مسيحي لن أكون جنديا تحت سلطتكم ، اقطعوا رأسي، أني من جند الله... لا يمكن أن أكون جنديا في دنياكم ...إنني مسيحي)، فلم يحتمل البروقنصل رده فأمر بقطع رأسه**[3].

يبدو أن الجنود قد طبقوا نظرة ترتليانوس المتعلقة بمنع المسيحيين من دخول الجيش، حيث تكررت حوادث امتناع الجنود عن حمل السلاح أو التوجه إلى القتال و عصيان أوامر رؤساء الوحدات التي يعملون بها و لم تفد كل العقوبات الصارمة من قتل و حرق أمام الملأ من الجند ، إذ اعتبروا مثالا للتضحية و رمزا للاستشهاد ، فخلدوا ذكراهم في قوائم القديسين و الشهداء مما حمس البقية من ملائهم على التسابق نحو الاستشهاد من أجل الفوز بالمجد

---

[1] شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 284- 286، محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 274- 275.

[2] محمد البشير شنيتي: المرجع نفسه، ص 275.

[3] عبد الحميد عمران: المرجع السابق، ص 179.

و نعيم الآخرة[1]. لذا كان من البديهي أن ترى السلطة الوثنية هذا دعوة للعصيان و التمرد ضدها أمرت بالاستمرار في تهديم الكنائس و العبث بمقدسات النصارى و استئصال كل ما من نشأنه أن يذكر الناس في الدين المسيحي و لم ترجع عن ذلك إلى أن رضخ رجال الدين المسيحي لإرادة الامبراطور وانقلبوا على الرأي الأول الذي يدعو الجنود إلى الفرار من الجيش معتبرين الفعل ذنبا تعاقب عليه الشريعة[2].

و هكذا برزت ظاهرة الردة و التراجع عن المبادئ من جديد التي راح ضحيتها الكثيرون والتي أحدثت الشقاق بين المسيحيين أتباع ترتليانوس والمخالفين لهم الذين اعتبروهم خونة لتبدأ معها سلسة الانشقاقات و الانقسامات الدينية، هذه الاخيرة التي ستؤدي إلى بروز مذاهب جديدة في المسيحية الافريقية و هو ما سنتطرق له بالتفصيل في العنصر اللاحق.

2ـ2 مرحلة الاحتواء و تنصر السلطة: يبدو أن تداعيات أزمة العرش و الصراع على السلطة التي بدأت قبل وفاة الامبراطور قاليريوس الذي كان يعاني من مرض شديد دفعه لدعوة المسيحيين إلى الصلاة من أجله و من أجل إمبراطوريته عن طريق اصداره قرارا يوم 30 أفريل 311م أمر فيه بوقف جميع أنواع العنف ضد المسيحيين، و هذا طبعا سعيا منه لاستقطاب المسيحيين كي لا يستغلون فرصة الصراع و يقضوا على السلطة الرومانية الوثنية ، كما قد يكون هذا الامبراطور قد أدرك هو أيضا جدوى و قيمة الدين المسيحي المهم أن هذا التحول قد ساعد على تبلور موقف من أتى بعده ليصب هو الآخر في خدمة الديانة الجديدة بعد اعتناق الامبراطور قسطنطين للمسيحية و اعترافه بها دينا رسميا للإمبراطورية 312م[3].

يرى بعض المؤرخين أن اعتناق الامبراطور للمسيحية و اعلانه المذكور أعلاه في تلك الظروف يعد قرارا سياسيا يدل على دهاءه و حنكته، و هذا طبعا لاحتوائهم و استقطابهم في صفه ضد خصومه من خلال دعوته اياهم للتسامح الديني الذي ورد في وثيقة ميلانو، هذه الاخيرة التي جاء بعد اجتماع جميع ممثلي الأسقفيات بالغرب الروماني عام 313م الذي

---

[1] ترتليانوس: المصدر السابق، ص 81، شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 288.

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 279.

[3] محمد البشير شنيتي: الدوناتية و ثورة الريفيين بنوميدياخلال القرن الرابع، مجلة الأصالة، ع ع 60،61، الجزائر، 1978، ص 28.

كان بمثابة مؤتمر سياسي هيمنت فيه ارادة الامبراطورية الرومانية بامتياز و حضره شريك قسطنطين في الحكم الامبراطور ليكينيوس، حيث جاء في لائحة الاختتام التي سميت ببراءة ميلانو ما يلي: بعد البحث بكل عناية فيما يمكن أن يكون فيه خير لسلامة الدولة و خدمة للأكثر الناس رأينا وجوب تسوية كل ما له علاقة باحترام الذات الاهية قصد تمكين المسيحيين و كافة المواطنين من حرية ممارسة الدين الذي يختارونه)[1].

يبدو أن محتوى النص المذكور أعلاه لم يشر إلى تفضيل عقيدة عن أخرى بل اتصف في نظر بعض المؤرخين بالدبلوماسية لوجود الامبراطور ليكينيوس الذي كان وثنيا خصوصا أنه بعد أن تم القضاء هذا الاخير من قبل قسطنطين سنة 324م لم يلغي العمل بالوثيقة لكنه كان يردد دائما ليمارس كل منكم العقيدة التي يفضلها و هو دليل على ميله للتنصر على حساب الوثنية، و هذا طبعا لأنه استطاع من خلال هذا الدين أن يحقق كل أهدافه السياسية التي عجز عن تحقيقها بالوسائل العسكرية.

إن حرص الامبراطور على وحدة الكنيسة المسيحية و توظيفها لجمع كلمة المسيحيين برعاية السلطة الرومانية لتصبح بمثابة الجهاز الأيديولوجي الاكثر تأثيرا على رأي رعايا الامبراطورية فيما بعد و هذا طبعا لاستعماله في خدمة مصالح الدولة.

أصدر قسطنطين مرسوما مكن المسيحيين من استرجاع كنائسهم و أملاكهم التي صودرت منهم سابقا كما أمر أيضا بتعويض المتضررين منهم من صندوق الدولة، حيث أرسل بموجب ذلك رسالة إلى أسقف جاء فيها : (**أنا قسطنطين أغسطس، إلى أسقف قرطاج قررنا: أن نخصص في كل الولايات أفريقيا نوميديا وموريطانيا منحا يستفيد منها خدام الكنيسة و أمرت مأمور الحسابات في أفريقيا أن يدفع إلى فطنتكم ثلاثة آلاف فلس ... ولك أن تطلب من وكيل أملاكنا ما أنت في حاجة له ...)**[2].

3ـ المذهب الدوناتي: أدى الصراع الذي عرفه الوسط الديني في شمال إفريقيا في القرن الرابع الميلادي إلى ظهور انشقاق داخل الكنيسة الكاثوليكية الرسمية تجسد في انفصال مجموعة من رجال الدين عن باقي ملائهم في السلك الكهنوتي و ظهور الدوناتية كما عرفت في كتابات رجال الجدل الكثوليك و على رأسهم أبطا الميلي و القديس أغسطين و هذا نسبة

[1] محمد البشير شنيتي : التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 280.

[2] عمران عبد الحميد: المرجع السابق، ص 186.

إلى الأسقف دوناتوس (Donatus) من قرية ديار السود(Casae Nigras) الواقعة شمال مدينة باتنة بمقاطعة نوميديا الذي كان له الدور الكبير في تأسيسها إلى جانب الأسقف دوناتوس القرطاجي (Donatus Carthaginesis) الذي نظمها[1].

أما بالنسبة لتاريخ ظهورها فإن المعطيات الوارد ذكرها في كل من كتابات رجال الدين الكاثوليك السابقي الذكر و المحاضر الرسمية لبعض القضايا المعروضة على الجهاز الاداري الروماني و التي لها علاقة ببعض الشخصيات الدينية الدوناتية و الكاثوليكية ومحاضر المجامع الدينية بموافقة الأيقف أوبطاتوس الميلي الذي أرجع جذور هذا الانشقاق إلى فترة الاضطهادات التي أمر بها الامبراطور ذقلديانوس كما سبق و أشرت في العنصر السابق وبالضبط إلى أحداث أبتينا[2] بالبروقنصلية مع مطلع سنة 304 ، هذه الأخيرة التي تسببت في ظهور عدد من المرتدين بسبب الاضطهاد كما أسلفنا و تسليمها للكتب المقدسة، و ما نتج عنه من انشقاق بين الأساقفة بين مؤيد و معارض لعودة المرتدين و هو ما دفع المعارضين لقرار عودتهم إلى الانفصال و تأسيس كنيسة تظم حسب مؤسسيها أولئك الذين صمدوا أيام الاضطهاد و صبروا على الأذى الذي ألحق بهم[3].

أما بالنسبة للتاريخ الفعلي للظهور العلني للدوناتية فلا يمكن تحديده حسب المؤرخين إلا بعد الاطلاع على التطورات التي عرفتها الكنيسة الافريقية في الفترة الممتدة من انعقاد مجمع سيرتا سنة 305 ـ 312م لما لهذه الفترة من أهمية في ظهور الدوناتية، فقد حدث انشقاق في مجمع سيرتا عندما طرحت مسألة التحقيق مع بعض الأساقفة بخصوص مواقفهم أثناء الاضطهاد من طرف الأسقف سيكوندوس كبير أساقفة نوميديا و مما لاشك فيه فإن تلك

[1] خديجة منصوري: الصراع الدوناتي الكاثوليكي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، ع12، سبتمبر 2002م، ص 31.

[2] و هي واحدة من القرى التي قام فيها المسيحيون بالتصدي لإجراءات السلطة الرومانية فسقط منهم ضحايا كثيرون، كما أعلنوا عن تكفيرهم لمن تظاهروا بالكفر اتقاء للتعذيب دون استشارة أسقف قرطاج، هذا القرار الذي أثر في مسيحيو نوميديا الذين اعتبروه بمثابة الميثاق الاجتماعي و الديني للمسيحيين و سمي بميثاق الشهداء. ينظر محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 288.

[3] خديجة منصوري: الصراع الدوناتي، المرجع السابق، ص 33.

الخلافات و غيرها قد ساهمت دون شك في تعميق الهوة بين المختلفين في الرأي من مؤيدين و معارضة إلى ظهور المذهب الدوناتي[1].

و الأهم أن هذه الحركة قد حملت راية الرفض للخضوع لإدارة السلطة الرومانية كما قاومت أساقفة المذهب الكاثوليكي المدنسين بالكفر معتقدين أن هذا الانفصال سيسمح لهم بالمحافظة على طهرتهم و قد اتخذوا مجموعة من التدابير لحمايتها منها عدم السماح للدوناتيين بالزواج من الكاثوليكيات و العكس كما امتنعوا عن مخاطبة الكاثوليك بالأخ أو الأخت لما تحمله هذه العبارة من مفهوم اجتماعي تجسده تلك المشاركة التي ألفها المسيحيون خلال القرن الثالث عندما كانوا يقفون صفا واحدا في وجه الاضطهادات[2].

لكن بعد تنصر السلطة و تحالف الجماعات الثرية معها نتيجة الامتيازات التي حصلوا عليها ظهرت فئة المسيحيين الأثرياء الجدد الذين تخلوا عن إخوانهم البسطاء في نصالهم نحو تغيير الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية السيئة التي كانت سائدة ، مما أدى بالبسطاء منهم إلى تغيير نظرتهم بخصوص إخوانهم في الدين الذين تخلوا عن مبادئ المسيحية الحقيقية الداعية للعدل و المناهضة للظلم بكل أشكاله.

و في الأخير نجد أن الدوناتية لا تعتبر حركة دينية فقط بل لها علاقة وطيدة بثورة الدوارين أو الطبقة الكادحة في المجتمع الافريقي الذي يتميز بالطبقية و الظلم الاجتماعي و ما ينجر عنه من ممارسات سلبية للسلطة الرومانية و هو الأمر الذي دفع بأولئك الثوار إلى عدم الوقوف في وجه الوندال مع الرومان و تركهم لمصيرهم هذا ما سنتحدث عنه بشيء من التفصيل في المحاضرة القادمة.

---

[1] محمد المبكر: شمال إفريقيا القديم حركة الدوارين و علاقتها بالدوناتية 305م ـ429م، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية بالرباط، رسائل و أطروحات رقم:52، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ص323، خديجة منصوري: الصراع الدوناتي، المرجع السابق، ص 32.

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية، المرجع السابق، ص 292، أضواء على تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 181.

المحور الخامس: الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم.

المحاضرة التاسعة: أسباب و مراحل الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم(429ـ 534م).

خامسا: أسباب و مراحل الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم (429ـ 534م): نحاول في هذه المحاضرة الاجابة على ثلاث أسئلة مهمة : من هم الوندال لماذا أتوا إلى بلاد المغرب القديم أي ماهي الاسباب و الدوافع التي دفعتهم لاحتلال المنطقة و أخيرا متى وكيف دخلوا المنطقة؟. كل هذه الأسئلة سنجيب عنها من خلال دراستنا للعناصر التالية:

1ـ التعريف بالوندال: لا طالما اقترن لفظ الوندال بالوحشية ، التخريب في أذهان الجميع، شاع استعمال اللفظ في جل اللغات الأوروبية على أنه مرادف للأعمال الوحشية على حد تعبير المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان[1]، في حين رأى البعض من بينهم كورتوا على أنه مرتبط باسم قرية سويدية في أوبلاند اسمها فاندال معتقدا أنها موطنهم الأصلي، بينما رأى آخرون بأنهم انحدروا من السلالة النوردية الشمالية[2]، و أمام تضارب آراء أولئك المؤرخين المحدثين وجد المؤرخين المعاصرين صعوبة في تحديد موطنهم الأصلي إلا أن الباحث والمؤرخ محمد البشير شنيتي ذكر أنهم قوم جرمان جاؤوا من اسكندينافيا أواخر الألف الأولى قبل الميلاد نحو جنوبي بحر البلطيق و منها إلى ألمانيا، حيث أصبحوا جيرانا للدولة الرومانية من جهة الشمال بين نهري الراين و الدانوب خلال القرن الرابع الميلادي[3].

2ـ أسباب و دوافع الغزو الوندالي بلاد المغرب القديم: تعددت الأسباب و الدوافع التي دفعت بالوندال مغادرة اسبانيا نحو شمال إفريقيا نذكر منها:

ـ معاناتهم من الصراعات الخارجية لجيرانهم الرومان من جهة و القوط من جهة ثانية.

ـ رغبة الوندال في الحصول على الثروات ونهب الخيرات التي لم تتوفر بالقدر الذي يرغبون فيه في اسبانيا.

ـ حلمهم بالاستيلاء على روما لكنهم أجلوا ذلك إلى ما بعد إضعافها عن طريق غزو الأراضي التابعة لها.

ـ ملاءمة الوضع في بلاد المغرب التي كانت تعاني من الفوضى السياسية بعد التمردات التي قادتها الكيانات المورية إضافة للصراعات الدينية و ثورة الدوارين الدوناتيين و تفاقم

---

[1] شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 322.

[2] Coutois(Ch.), Les Vandales et L'Afrique , éd., Arts et Metiers graphique, Paris, p.p. 15-16.

[3] محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، المرجع السابق، ص 374.

الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية بسب كثرة الضرائب المفروضة على الأهالي الذين لا يفوتون أية فرصة ممكنة للنهوض ضد السلطة الرومانية التي أرهقت كاهلهم ، فكانت إفريقيا كلها تتوق للقضاء على الرومان الأمر الذي جعل الكثيرين لا يقاومونهم لأنهم كانوا يريدون الخلاص من الرومان على أيديهم كما سبق و أشرت في نهاية المحاضرة السابقة و نقصد هنا أمراء المور لأنه من غير المستبعد أن يكون الطرفان قد توصلا إلى اتفاق يقضي بالقضاء على الرومان معا أي أنهم استنجدوا بهم[1].

ـ إدراك جنسريق لأهمية الامكانيات الافريقية البشرية و المادية و العمل على توظيفها لبلوغ هدفه و هو الوصول إلى روما[2].

3ـ مسار الغزو الوندالي و احتلاله للمدن الإفريقية: كان عبور الوندال إلى شمال إفريقيا من جهة الغرب عبر مضيق جبل طارق، حيث انطلق جنسريق بجيوشه من المكان المسمى طريفة الواقعة على السواحل الأوروبية على مقربة من مضيق جبل طارق في ماي 429م لتكون بذلك سبتة و طنجة مرادهما الأول لتصبحا بعد ذلك مركزي الانطلاق نحو كامل الشمال الافريقي ، لأن أنضار الوندال كانت متجهة صوبة نوميديا بالدرجة الاولى ، حيث بدأت قوتهم نحو الملوية و منها إلى ألتافا خلال شهر جويلة من سنة 429م قاطعين مسافة 700كلم بجيشه قوامه ما بين 10.000 و 15.000 محارب و لم يتمكنوا من الوصول إلى عنابة إلا سنة 430م[3] بعد أن تخطوا كل الحواجز الدافعية و قاموا بتقسيم قواتهم على ثلاثة أفواج وصل الفوج الأول عنابة عبر الطريق الساحلي فيحين اتجه الثاني بمحاذات واد الشلف و الصومام بينما عبر الثالث المناطق المحاذية لليمس إلى أن اجتمعت ثانية عند مدية عنابة[4].

و نظرا لقلة المصادر التي تناولت الغزو الروماني لبلاد المغرب فقد تضاربت الآراء حول مناطق التي سيطر عليها الوندال فمنهم من حصر نفوذهم في ولايتي البروقنصلية و أجزاء من نوميديا أي الجزء الشرقي من الجزائر الحالية في حين قال آخرون منهم المؤرخ البيزنطي

---

[1] محمد محمد الصالح العود التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429ـ 534م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة، 2008ـ 2009م، ص 49ـ51.

[2] Coutois(Ch.), Op.cit., p.161.

[3] محمد الصالح العود: المرجع السابق، ص 59.

[4] Coutois(Ch.), Op.cit., p.162.

بروكوبيوس الذي أشار إلى ارسال بيليساريوس لأحد قادته من أجل السيطرة على قيصرية وآخر من أجل استرجاع سبتة، و مع ذلك فإن عملية سيطرتهم على المقاطعتين السابقتين أمر غير مؤكد، خصوصا أن نص البرواقية جاء فيه أن المنحدر الجنوبي للأطلس المتيجي كان تحت إمرة الأمير يقمينا كما يمكننا أيضا الاعتماد على تقسيم جنسريق نفسه للولايات التي أخضعها وهي : المزاق، نوميديا ، أبارتيان(مابين أعالي مجردة و تبسة شرقا)، منطقة الجيتول(تشمل مناطق الجريد و المناطق الجنوبية)، زغوان. علما أن كل الولايات السابقة تقع في المنطقة الشرقية[1].

لقد استقر الوندال في المنطقة الجغرافية الممتدة من أراضي البروقنصلية و أجزاء من نوميديا شرقا إضافة للمقاطعة الطرابلسية و هذا بمقتضى معاهدة سنة 442م ، و عليه فلم يبق تحت السيطرة الرومانية سوى الجزء الغربي لتلك المناطق و التي لم تدم طويلا حتى سيطر عليها بعض الأهالي . ينما كان أقصى اتساعا لهم غربا نحو مدينة كويكول (جميلة) و الذي استمر لغاية سنة 452م. أما نحو الجنوب فكان الأوراس هو أقصى اتساعا لهم و هذا قبل اندلاع ثورات المور التي توسع أمراءها نحو الشمال ، الأمر الذي جعل بعض المؤرخين يقدرون مساحة التي خضعت للسيطرة الرومانية بالتسع أي 9/1 من المساحة الاجمالية للمغرب القديم[2].

و في الاخير يمكننا القول أن الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب كان جزئيا و لم يكن كليا وهذا لعدة أسباب تتعلق بالأوضاع السياسية و الاقتصادية لبلاد المغرب الروماني، ذلك أن ضعف قوة الامبراطورية الرومانية سمح بتنامي قوة الممالك المورية رغم تفرقها إلا أنها شكلت كيانات سياسية مستقلة فرضت مكانتها أثناء الاحتلال الوندالي مما دفع القادمين للجدد للاستعانة بهم للقضاء على الرومان، لكن الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها هي العمق الحضاري للامبراطورية الرومانية الذي لم يستطع الوندال تجاوزه و لا حتى تقليده مما حتم نهايتهم في زمن قصير (المائة سنة) مقارنة بتجذر المستعمر الروماني الذي فاق الخمس قرون من الزمن الأمر الذي دفع بالبيزنطيين للعودة و استرجاع ما ورثوه عن الرومان.

[1] محمد الهادي حارش : التاريخ المغاربي القديم ، السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامي، 245.

[2] شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 328.

المحور السادس: الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم.

المحاضرة العاشرة: أسباب و مراحل الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب القديم.

أولا: أسباب و مراحل الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب (533ـ647م).

1ـ أسباب و عوامل الاحتلال البيزنطي: ظل المغرب القديم خلال العهود السابقة يثير أطماع الدول المجاورة لحوض البحر الأبيض المتوسط وذلك لأهميته الاستراتيجية و لتوفره على العديد من الثروات الباطنية و كان معظم المؤرخين والجغرافيين القدامى أغارقة كانوا أمن رومانا قد ذكروها بإعجاب و لهفة و يظهر ذلك جليا عندما استحوذت روما على هذا الإقليم حيث ظلت متمسكة به بكل قوة متبعة كل الطرق و الأساليب لرومنته فقد جاعلت منه فضاء حيويا للثقافة الرومانية و موردا رئيسيا لحاجاتها الاقتصادية. ورغم الشدائد والصعوبات التي تعاقبت عليها من أزمات اجتماعية واقتصادية وحروب في أقطار عدة، وبروز كيانات سياسية جديدة تريد الانفصال عن الهيمنة الرومانية، ظل أباطرة روما يسعون لاحتفاظ بكل شبر من الأراضي المغاربية[1]. وهذا ما لمسناه في كل المحاضرات السابقة خاصة المتعلقة منها بالموروث الحضاري الروماني و سياسة الرومنة في بلاد المغرب.

ولما استطاع الملك الوندالي جنسريق أن يجتاح المغرب القديم سنة 429[2] ويستولى عليه مع بعض الجزر المترامية في بحر الأبيض المتوسط، كانت هذه الحادثة بمثابة الطلاق من غير تراض بين الجالية الرومانية–الإفريقية وموطن الأم روما، وكأن هذه الأخيرة فقدت من جسدها أحد أعضائها.

لكن عندما سقطت روما سنة 476م أخذت القسطنطينية كعاصمة للإمبراطورية الرومانية الشرقية على عاتقها التكفل بإصلاح النظام الروماني ومواصلة الدرب لاسترجاع ممتلكات روما في كل الأقطار المسلوبة منها.

وراودت فكرة وحدة الإمبراطورية أذهان الأباطرة في القسطنطينية و السعي إلى تجسيدها فعليا وبحماس كبير، وسعى الإمبراطور جوستينيانوس الذي كان يعتبر نفسه الوريث الشرعي لأباطرة روما، كممثل للسلطة السياسية والحامي الأول للديانة المسيحية، فرمى بجهوده

[1] سليم دريسي : البيزنطيون في شمال إفريقيا الاحتلال و العمارة الدفاعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008، ص 8.

[2] Coutois(Ch.), Op.cit., p.162..25 عيبش يوسف: المرجع السابق، ص 24،

ووظف أموال خزينة الدولة في توقيع الهدنة مع الفرس ثم العمل على استرجاع ما كان في يد الوندال بشمال إفريقيا وطرد الغزاة من شمال إيطاليا وإسبانيا[1].

وكانت أكبر غزواته تلك التي خص بها شمال إفريقيا، لأنها حملت في طياتها طابعا عسكريا يهدف إلى تكريس هدف ديني بقهر الديانة الأريوسية التي نعت أتباعها بأعداء الجسد و الروح وإعادة الاعتبار للكنيسة المسيحية الأرثودوكسية، فكان من الضروري القضاء على الهراطقة وإنقاذ المسيحيين الأفارقة المضطهدين في عقيدتهم[2].

كما يمكن أيضا اعتبار تسامح الملك هيلدريك اتجاه الكاثوليك نتيجة صداقته مع جوستنيانوس سببا في استياء الوندال الذين أصبحت هزائمهم المتكررة أمام الأهالي ففي عهد تراساموندوس قامت ثورة طرابلس بقيادة زعيم قبائل الرحل قابوو[3] ، كما كانت ثورة أهالي المزاق وراء استياء قادة الجيش الوندالي الذي ثاروا ضد هيلدريك و طالبوا بإبعاده مما تسبب في انقسام صفوف الوندال و تدخل الديبلوماسية البيزنطية لحل النزاع[4].

أضف إلى ذلك قوة الثورات المورية المحلية التي لم تتأخر قبائلها في التخلص من سلطة الملوك الوندال و اعلان الانفصال و الاستقلال عنهم ، حيث أعلنت مملكة الأوراس استقلالها منذ عهد هونوريك(477ـ 488م)[5]، ليأتي بعدها دور قبائل الحضنة و الزيبان ، حيث تمكن سكانهم من النزول الى السهول و اجتياز الحصون الرومانية التي كانت حاجزا أمامهم للوصول إلى الهضاب العليا النوميدية[6].

---

[1] سليم دريسي: المرجع السابق، ص 8.

[2] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري ، المرجع السابق، ص 264.

[3] Procope, Guerre des vandales, I, VIII, محمد البشير شنيتي: الجزائر قراء في جذور التاريخ و شواهد الحضارة ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر 2013، ص2.

[4] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري ، المرجع السابق، ص 265.

[5] Michel.(J), l'Aurès au VI siècle. Note sur le récit de Procope Antiquité africaine, T. 15, 1980, p. 346.

[6] شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص347.

إن تجبر جيلمير و قصر نظره على حد تعبير المؤرخ محمد الهادي حارش و انحياز قوط ايطاليا إلى جوستنيانوس بعد اغتيال أمالافريدا زوجة تراساموندوس القوطية قد ساهمت دون شك في انجاح حملة جوستنيانوس على شمال افريقيا[1].

2ـ مراحل الاحتلال : يمكننا تقسيم مراحل الاحتلال البيزنطي لشمال افريقيا إلى مرحلتين ، المرحلة الأولى كانت المواجهة فيها مع الوندال و الثانية كانت الأهالي.

2 ـ 1 ـ المواجهة مع الوندال: قرر جوستنيانوس بعد فشل مفاوضاته لإعادة ملك الوندال هلدريك إلى منصبه أو إخلاء سبيله ليهاجر الى القسطنطينية ارسال حملة لاسترجاع شمال افريقيا على الرغم من ضغوطات المجلس الامبراطوري الذي كان متخوفا من عدم نجاح الحملة التي لا طائل من ورائها، لكن المعلومات الدقيقة التي وصلته من الأساقفة الأفارقة بخصوص الوضع في مملكة الوندال و الانقسامات فيها بالإضافة لموقف الأهالي الذين قرروا التزام الحياد هي التي شجعته لتنفيذ مخططه و ارسال الحملة إلى افريقيا في اليوم الثاني و العشرين من شهر جوان بقيادة أحسن قادته المدعو بليزاريوس مع ستة عشر ألف محارب بين مشاة و فرسان(16000).

حيث تمكن بليزاريوس من النزول في رأس كبوديا إلى الجنوب من هدرموت (سوسة)بعد ثلاثة أشهر من الابحار و سلك بعدها الطريق البري الساحلي نحو قرطاجة مرورا بسلقطة و لمطة (Leptis Minors) و سوسة(Hadramet) و قراس(Grasse) و هي المناطق التي لم يتلقى فيها أية صعوبة وفي الك الأثناء وصل خبر نزول البيزنطيين إلى جيلمير الذي سارع بإخبار أخيه أماتاس في قرطاجة كي يقتل هيلدريك و المقربين منه و يستعد للقتال في ديكيموم(Decimum) على بعد 15كلم من قرطاج وكانت نتيجة المعركة انتصار القائد البيزنطي الذي دخل قرطاج في اليوم الموالي 14 سبتمبر533م[2] .

لقد حاول القائد الوندالي جلمير استرجاع قرطاج بعد فراره إلى بولا ريجيا(حمام دراجي حاليا) بعد قطع الماء عنها و محاولته إقحام بليزاريوس في معركة يختار لها المكان لكنه فشل في ذلك حيث تمكن هذا الأخير من مباغتته في 15ديسمبر و هزمه في معركة

[1] المرجع السابق، ص 265.

[2] محمد الهادي حارش: التاريخ السياسي و الحضاري، المرجع السابق، ص 268.

تريكاماروم(Tricamarum)[1] و فر بعدها إلى جبل (Pappua)أين ضيق عليه فاراس الخناق إلى أن استسلم بعد ثلاثة أشهر من الحصار مارس 534م.

بعد استسلام جيلمير أرسل بليزاريوس بعض قواته إلى استرجاع قيصرية و سبة، لكن البيزنطيين سيصطدمون بعدها بالأهالي لتبدأ المرحلة الثانية من الاحتلال .

2ـ 2ـ المواجهة مع الأهالي: لقد لاحظنا في المرحلة السابقة غياب العنصر المحلي عن كل المواجهات بين البيزنطيين و الوندال و هذا أن يعني أنهم التزموا الحياد كما ورد عند المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس الذي اعتبر ذلك خبثا و مكرا منهم[2] في حين فسره المؤرخ الفرنسي ديهل[3] على أنه ذكاء سياسي و عسكري تعود عليه الأهالي، لأنهم رأوا في الصراع استنزافا لقوة الخصمين و هذا طبعا هو هدفهم، الأمر الذي تؤكده تصرفات ملوك و أمراء مور المزاقون وميديا و موريطانيا الذين أرسلوا سفراء لهم إلى بليزاريوس ليقدموا له الدعم العسكري مؤكدين خضوعهم للإمبراطور لكن لا أحد منهم طبق ماقال على أرض الواقع حتى بعدما حاول بليزاريوس استمالتهم عندما بعث إليهم بصولجانات من الفضة و أكاليل من فضة مزخرفة و برانس بيض أقفالها من ذهب و مآزر و أحذية مطرزة بالذهب و كميات من المال[4].

إن سوء نية كل من الطرفين اتجاه الآخر جعلت الطرف المحلي يقف حتما على الحياد في انتظار ما ستسفر عليه نتيجة الحرب بين الطرفين لأن حرص أمراء المور على الاحتفاظ باستقلالية اماراتهم وممتلكات رعاياهم بمعزل عن أسياد إفريقيا الجدد، و من ثمة الصدام و المواجهة بين الطرفين أمرا حتميا بمجرد تحرك البيزنطيين نحو الداخل[5].

---

[1] محمد الهادي حارش: المرجع نفسه، ص 269.

[2] محمد البشير شنيتي: الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص 260، محمد الهادي حارش: التاريخ السياسي و الحضاري، المرجع السابق، ص 270.

[3] Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine. Histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709), Paris, 1896.p. 51-52.

[4] Procope, Guerre des vandales, I, XXV, 2.

[5] محمد البشير شنيتي: الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص 260.

فبمجرد عودة بليزاريوس إلى القسطنطينية و هو مطمئن لحياد أمراء المور ، إذ بهم يثورون تباعا في المزاق و نوميديا ليدخل الطرفين فيما بعد في حرب مزمنة شاركت فيها كل القبائل المورية التي كانت تدرك أن البيزنطيون لا يختلفون عن نظرائهم الوندال الذين لن يكتفوا بأملاك الوندال و أنهم عازمون على استعادة سيطرتهم على كامل المقاطعات الرومانية السابقة، كما أن الوعود التي قطعها البيزنطيون على أنفسهم لم ينفذوها و لم ينل المور منهم سوى الدمار الذي نتج عن الحروب فتضررت محاصيلهم وأقواتهم[1].

و من بين أهم المعارك التي دارت بين الموريين و البيزنطيين معركة بالقرب من جبل برقوان سنة 535م التي فقد فيها الأهالي خمسين ألف مقاتل في نفس الوقت نزل يبداس ملك الأوراس صيف 535م على رأس ثلاثين ألف مقاتل بالهضاب العليا النوميدية ووصل حتى حدود التل دون أن تتمكن الحامية البيزنطية من صده ، فقرر صولومون أواخر سنة 535م غزو الأوراس بعد أن آمن جانب ملك الحضنة و مازونة لكنه فشل و اضطر إلى العودة إلى قرطاجة في انتظار المحاولة الثاني[2].

حملة صلومون الثانية في سنة 539م تمت دعة جرمانوس إلى القسطنطينية و عوض بسليمان الذي نزل هذه المرة في قرطاجة بصفته والي و قائد قوات إفريقيا، و لم ينس خيبته في الأوراس سنة 536م، فقرر أن يهاجم بمجرد وصوله و على ما يذكر بروكوبيوس أن حملته حققت نجاحا باهرا هذه المرة ، حيث وصل إلى ضواحي المسيلة و تمكن من اخضاع كل موريطانيا السطايفية [3].

عم السلم بين الطرفين لمدة أربع سنوات من سنة 539ـ 543م إلى حين تعيين سرجيوس دوقا على اقليم طرابلس ليتسبب في ثورة قبيلة لواتة التي هاجمت لبدة، و رغم تمكن القوات البيزنطية من صدها إلا أن ثورة إقليم طرابلس قد دفعت سرجيليوس إلى الفرار إلى قرطاجة ليستنجد بسليمان الذي خرج لملاقاة الأهالي عند حدود نوميديا ـ المزاق، و رغم

---

[1] شارل أندري جوليان : المرجع السابق، ص 365.

[2] محمد الهادي حارش : التاريخ المغاربي القديم، المرجع السابق، ص 272.

[3] محمد البشير شنيتي ، الجزائر في ل الاحتلال الروماني، ج2، ص 414، محمد الهادي حارش :المرجع السابق، ص 273. شارل أندري جوليان : المرجع السابق، ص 363.

تمكنه في اللقاء الأول من تحقيق انتصار جزئي في ضواحي تبسة فقد انهزم في معركة كيليوم التي لقي فيها مصرعه سنة 544م[1].

كانت لمعركة كيليوم نتائج وخيمة على البيزنطيين، إلى جانب انتشار الفرسان المور في المزاق و لما اجتاز القوط الغربيون مضيق جبل طارق و حاصروا سبتة و تم تعيين سيرجيوس خلفا لصولومون انظم ستوتزاس إلى أنتالاس فقدم كلا هؤلاء و احتلوا هدرموت بعد أن هزموا دوق المزاق في معركة مينيفاز (Menephese) ، مما اضطر قائد المشاة إلى التراجع نحو قرطاج[2] و هو ما أثار نزاعا بين قادة بيزنطا سرجيليوس و يوحنا فيما يعرف بأزمة سنتي(545ـ 546م) مما دفع جوستينيانوس إلى ارسال أريوباند لمساعدة سيرجيليوس فكلف الأول بقيادة الحرب في المزاق و الثاني في نوميديا، لكن النزاع بين القائدين نتج عنه زحف الثوار على البروقنصلية و قضوا على قوات أريوباند الذي قتل في معركة برج مسعود أواخر 545م، فكاد جوسينيانوس أن يفقد إفريقيا جراء هذه الأحداث. فأوفد قائد جيوش الشرق يوحنا تروقليتا سنة 546م الذي تمكن من إخضاع الجنود البيزنطيين المتمردين و قتل قائدهم ستوتزاس ، كما استطاع أن ينهي حصار بعض المدن و مع ذلك لم يتمكن من الاطاحة بالمور إلا بالاستعانة بأمراء من المور لم يكونوا قد شاركوا في قتال البيزنطيين من قبل بسبب خلافات قديمة بينهم فحاول استمالتهم بعد أن اعترف بسيادتهم على ممالكهم من بينهم يبداس قائد الأوراس و الامير كوتزيناس الذي كان يسيطر على أجزاء من نوميديا ، و قد أثمر هذا التحالف النصر لصالح البيزنطيين سنة 548م[3].

عمت بعدها فترة سلم لمدة 14سنة ليتجدد بعدها القتال عندما قتل كوتزيناس في قرطاج سنة 563م لتستمر بعدها سلسلة من المعارك بين المور الذين لم يتوقفوا عن الثورة ضد الاحتلال البيزنطي الذي يدخر جهدا إلا و استعمله للقضاء على المور من خلال كل تلك المعارك الشرسة التي قادها ضدهم و المؤامرات الخبيثة لاستمالة البعض منهم و

[1] شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 370، جميل حمداوي: المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ ، منشورات دار المعارف الرباط، المغرب ، 2013، 275،محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم، المرجع السابق، ص ص 273،274.

[2] Diehl (Ch.),Op.cit., p.

[3] محمد البشير شنيتي: الجزائر قراءة في جذور التاريخ، المرجع السابق، ص 264، محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم، المرجع السابق، ص 277..

استخدامهم لضرب اخوتهم إلى غاية مجيئ العرب الفاتحين و هذا ما سنتحدث عنه في المحاضرة الموالية.

المحور السابع: الكيانات المورية.

المحاضرة الحادية عشر: ظهور الإمارات المورية المحلية و علاقتها بالوندال ثم مع البيزنطيين.

سابعا: ظهور الامارات المورية المحلية و علاقاتها مع الوندال ثم مع البيزنطيين.: لقد سمحت مصادر القرن السادس من الوقوف على أربع كيانات مورية كبرى تقاسمت الخريطة الجغرافية المغربية القديمة بطريقة متفاوتة وبأشكال تنظيمية غير متجانسة و على الرغم من النقص في المصدر التي تناولت هذه الكيانات إلا أن الأكيد هو الدور الكبير الذي لعبته قبل القرن السادس أي بداية مع القرن الخامس حيث كان لها تأثير واضح في الحياة السياسية الداخلية لبلاد المغرب و الخارجية في الصراع الروماني الوندالي الذي كان لصالح الوندال نتيجة علاقتها مع الغازين الجدد الوندال.

1ـ الامارة الصحراوية الطرابلسية: اشتهرت قبائل هذه الامارة منذ القرن الرابع الميلادي حيث ورد اسم أشهر قبيلتين فيها و هما لواتة(Laguatan) و هوارة[1](Austururiani) بصيغ مختلفة و متعددة في مصادر ذلك القرن ، فقد ذكرها كوريبوس على أنها قبائل صحراوية متنقلة تعيش حياة البداوة و الترحال تحت قيادة أميرها يارنا (Ierna) الذي كان خادما للإله قرزيل (Gurzil)[2] معتبرا إياها سبب الهموم التي حلت ببلاد المغرب خلال القرن السادس ، يظهر هذا التحامل على هذه الامارة بسبب المتاعب التي كانت تسببها للاحتلال الروماني منذ نهاية القرن الثالث الميلادي و استمرت على ذلك حتى بداية الفتوحات الاسلامية[3].

أما بالنسبة لمواطنها فتجمع المصادر على أنها كانت تتواجد بالقرب من المدن الطرابلسية و لبدة، إلا أن الجدل لايزال قائما حول مطابقة تلك المواقع مع مواقع القبائل المتحالفة معها مما قد يدل على أنها كنت تقطن المناطق الداخلية أيضا على الرغم من كونها قبائل صحراوية فليس بالضرورة أن تكون قد وفدت من خارج الحدود الليبية[4]، بل قد يكون البعض منها انتقل من المناطق السهبية و الجبلية مما يدفعنا إلى القول بإمكانية استقرارها بالقرب من

---

[1] ابن عبدالحكم : فتوح مصر و افريقيا، تح: عبج الله أنيس الطباع، بيروت، 1964، ص 229.

[2] هو اله القبائل الموريةبالمقاطعة طرابلسية ،من الممكن أن يكون له علاقة باله آمون الذي كان يعبد في المناطق الداخلية من المقاطعة خاصة بمنطقة أوجيلا هذه الأخيرة التي ذكرا أبوعبيد البكري في حدود القرن العاشر الميلادي تحت اسم كرزا. ينر يوسف عيبش: المرجع السابق، ص 211.

[3] محمد الصالح العود: المرجع السابق، ص 80، يوسف عيبش: المرجع االسابق، ص 211، كامبس: في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، تر محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية 2009م، ص

[4] محمد الصالح العود: المرجع السابق، ص 80.

المناطق الداخلية للمقاطعة الطرابلسية و هو ما أكدته التنقيبات الأثرية في موقع قيرزة الواقعة بواحة أوجيلا التي أسفرت عن تواجد معالم دينية قد تكون مخصصة لعبادة الاله آمون مما يرجحها أن تكون عاصمة دينية للقبائل الطرابلسية جميعا على رأسها لواتة و هوارة[1].

صحيح أن القبيلتين المذكورتين أعلاه من أكثر القبائل الصحراوية تنقلا إلا أن تمسكهما بممتلكاتهما للهضاب الطرابلسية أين كانتا تمارسان نشاطهما الزراعي يجعنا نصنفها على الأقل ضمن القبائل النصف بدوية أي أنهم من أنصاف البدو الذين كانوا يستقرون لمواسم معينة على الأقل ، إلى جانب ذلك فهي من القبائل التي كانت تعبد الاله آمون كما أسلفنا ، هذا الاخير الذي كان من أكبر الآلهة لسكان تلك المناطق منذ عهود خلت فقد ذكر هيردوت خلال القرن الخامس قبل الميلادي أن قبائل الناسامون كانت تعبد إله يدعى آمون[2].

و إذا كانت قيرزة تتمتع بكل هذه الأهمية بالنسبة للقبائل الطرابلسية كونها موطن عبادة هذا الاله فإن الجيش البيزنطي في حربه مع تلك القبائل عام 548م لم يكفه هزيمتهم بل عمل على تخريب و تحطيم مركز نفوذهم الديني[3].

ثانيا: أمارة المزاق: تتميز مقاطعة المزاق بأهمية كبيرة منذ الاحتلال الروماني نتيجة ثراءها الاقتصادي و تنوع مصادر خيراتها فضلا عن نشاطها الديني الباز، شملت تلك المقاطعة المناطق الواقعة شمال و غرب نهر المجردة و سفوح جبال الظهير التونسي حاليا ممتدة جنوبا على بعد 65 كلم من مدينة قفصة ، إذ كان للقائد أنتالاس أهمية كبيرة في تقوية إمارته التي كانت ضعيفة مع بداية القرن الخامس الميلادي إلا أنها مع نهاية العهد الوندالي تحولت إلى امارة قوية[4] و لها هيبة خاصة بعد تلقين قائدها هلديمير هزيمة كبيرة أثبتت للجميع أن أنتلاس قد أصبح وحده صاحب قوة و نفوذ على كل مرتفعات الظهير الأوسط مواصلا عملياته العسكرية نحو السهول و التي توجت ببروز مملكة مورية في قلب الدولة الجرمانية[5]. و هذا ما أكد عليه المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس خلال سنتي 534ـ 535م أثناء

---

[1] يوسف عيبش: المرجع االسابق، ص 212.

[2] هيرودوت: تاريخ هيرودوت، تر عبد الاله الملاح، إصدارات المجمع الثقافي ، أبو ضبي، الامرات العربية المتحدة، 2001م، ص360 .

[3] يوسف عيبش: المرجع السابق، ص 212.

[4] محمد الصالح العود: المرجع السابق، ص 81.

[5] يوسف عيبش : المرجع السابق، ص 218.

الحروب التي تزعمها كل من كوتزيناس و يبداس المواليان للادارة البيزنطية ، مما يفترض أنه كان من بين الأمراء المور في كل من موريطانيا و نوميديا و المزاق قد أعلنوا ولاءهم للبيزنطيين مما جعل البيزنطيين يعترفون لهم بسلطتهم على المناطق التي كانوا يسيطرون عليها خلال الفترة الوندالية[1].

ثالثا: إمارة الأوراس: يصف بروكوبيوس منطقة الأوراس بأنها تتميز بثلاثة مواصفات أساسية تعطيها قيمة وهيبة أمام من يريد الوصول إليها فهي مرتفعات مناهضة لمن يريد دخولها لأول مرة و عي نعيم لمن يعيش بها أو يعبرها مسالما ، إلا أنها ضد العدو الذي يهاجمها توفر لسكانها مناطق و مواقع دفاعية متعددة.

مما دفع بالباحثين إلى اعتبار هذه الكتلة الجغرافية المتميزة ظاهرة تاريخية لأنها كثيرا ما أثارت الجدل حول مدى اندماجها ضمن الخريطة الرومانية، لكن بفضل بعض الشهادات لمؤرخي القرن السادس الميلادي و الاكتشافات الأثرية التي حدثت ضمن مواقعها فيما بعد أكدت أن المنطقة عرفت نمطا حضاريا متميزا جمع بين التمدن و البداوة بفو أخذنا مثلا ما ورد في نقيشة آريس التي تحدثت عن شخصية أميرية تدعى ماستياس باعتباره ملكا للمور والرومان ثم أصبح إمبراطورا في نهاية عهده إلى جانب فيرتيا الذي وضع هذه النقيشة هو وإخوته[2].

حسب ما جاء في النقيشة يبدو أن الأمير ماستياس قدم نموذجا أميريا مختلفا عن سابقيه من الأمراء المور في المناطق الأخرى جمع فيه بين الموروث الحضاري الموري القبلي والتنظيم و الهيكل الروماني إذا بعين الاعتبار اعتماد الاشهار بالطريقة اللاتينية (وضع النقائش) و توظيف مصطلحات لها علاقة بهرم السلطة الرومانية[3] .

كما تحدث بركوبيوس عن الأمير يبداس الذي يبدو أنه تحالف مع الأمير ماستيناس أمير موريطانيا الأولى للقضاء على الأمير أورتياس المقيم بالمنطقة منذ زمن طويل ، إضافة للأمير ماسوناس المعادي بدوره للامير يبداس الذي قتل والده مفانياس زوج والدة يبداس. أما كوريبيوس فقد تحدث هو الآخر عن شخصية يابداس على أنه أمير لمنطقة الأوراس كانت

[1] يوسف عيبش: المرجع نفسه، ص 219.

[2] يوسف عيبش: المرجع نفسه، ص 228.

[3] نفسه

تتبعه مجموعة من القبائل المتفرقة كما ذكره أيضا في أحداث 548 م كحليف للبيزنطيين ضد الأمير أنتلاس الذي ثار ضدهم بعدما كان مواليا لهم كما سبق و أشرت في العنصر السابق[1].

في الاخير من خلال ما تقدم يمكننا الاستنتاج أن المنطقة قد عرفت تبلور عددا من الكيانات المورية التي حاولت بكل الطرق القضاء على الاستعمار الروماني و حتى الوندالي و البيزنطي فيما بعد باحثة عن استقلاليتها لكن تفرقها و صراعها فيما بينها على السلطة قد أربكها و أضعفها مع مرور الزمن حيث لم تستطع تحقيق هدفها الحقيقي و إعادة الاستقرار و السلام للمنطقة المغاربية القديمة.

[1] يوسف عيبش: المرجع نفسه، ص 229 .

المحور الثامن: المغرب عشية الفتح الاسلامي.

المحاضرة الثانية عشر: المغرب القديم عشية الفتوحات الاسلامية ونهاية البيزنطيين.

تكملة للموضوع السابق الذي تحدثنا فيه عن الممالك المورية و موقفها من الاستعمارين الوندالي ثم البيزنطي، حيث وقفنا على تلك المعارك الطاحنة التي دارت بين الطرفين(الموري و البيزنطي) و التي تسببت حتما في حالة عدم استقرار المنطقة المدروسة، لذلك رأينا أنه من الضروري أن نتناول في موضوع المغرب عشية الفتوحات الاسلامية كيفية انهيار الحكم البيزنطي في بلاد المغرب حتى يتسنى لنا إنهاء برنامج مقياس تاريخ و حضارة بلاد المغرب القديم 2- دون الدخول في الفترة الوسيطة أو التاريخ الوسيط الذي يبدأ بفتح لبلاد المغرب .

- **أوضاع بلاد المغرب في نهاية الحكم البيزنطي:** نستهل حديثنا عن المغرب عشية الفتح الاسلامي بالتطرق أولا إلى أسباب انهيار الحكم البيزنطي في بلاد المغرب و علاقتها بالأحداث التي وقعت بعد وفاة الامبراطور جوستينيانوس و السؤال الذي يطرح نفسه ما الذي حدث بعد وفاة هذا الأخير؟ و كيف أثر ذلك على وجود البيزنطيين في بلاد المغرب؟

1- أوضاع شمال افريقيا بعد وفاة جوستنيانوس:

تسببت حروب جوستينيانوس من أجل استرجاعه لممتلكات أجداده في ظهور مشاكل مالية عانت منها خزينة الامبراطورية فترة طويلة من الزمن خاصة مشكلة تمويل الجيوش البيزنطية المنتشرة عبر كافة ربوع الامبراطورية على و تكاليف باهظة من الأموال والتي أثيرت فيها مشكلة تمويل الإدارة من مشارقها إلى مغاربها ممّا أدّى إلى إرهاق الجهود الداخلية وإحداث أزمة اقتصادية ومالية خانقة[1].

إن عجز الدولة عن تسديد أجور عناصر الجيش في العديد من المناسبات قد أدى حتما إلى تمرد البعض منهم مما دفع بالإمبراطورية إلى البحث عن حلول سريعة فاتجهوا إلى فرض المزيد من الضرائب على الأهالي الذين تضايقوا هم أيضا من الوضع و امتنعوا عن دفعها مما زاد الوضع تعقيدا[2].

كما أدت وفاة جوستينيانوس في شهر نوفمبر 565م الذي ترك لخلفائه مهمة صعبة في الاحتفاظ على مكتسباتهم خاصة في شمال إفريقيا. إلى توالي المصاعب والاضطرابات السياسية و الاقتصادية التي لم تكن قد بنيت على أسس صحيحو و متينة تضمن وقوفها بقة

[1] محمد الهادي حارش : التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري، المرجع السابق، ص 282.

[2] محمد الهادي حارش : المرجع نفسه، ص 285.

أمام كل الأخطار المحدقة بالدولة خاصة لما خلفه على العرش ابن أخيه جوستينوس الثاني (565م- 578م) الذي توالت في عهده الاضطرابات و الأخطار تأتي تباعا سواء من الحدود الشرقية، و نقصد بذلك الحرب ضدّ الفرس وكذا زحف شعوب الآفار والهان الذين يمثلون خطرا في منطقة الدانوب والبلقان[1].كما اجتاح اللّومبارديون في سنة 568م الجزء الكبير من إيطاليا، وهاجم من جهتهم الفيسيقوط ممتلكات البيزنطيين في إسبانيا واسترجعوا على فترات وطنهم الضائع.

أما من الداخل فقد ظهرت أولى بوادر الصراع على السلطة التي تتمحور في تدخل الطبقة الأرستقراطية في الشؤون العامة والسياسية خاصة، و تفشت الفوضى و عم الفساد و كثر جشع الولاة و الاداريين الذين مارسوا كل أنواع الابتزاز لدرجة أن هذه الظاهرة قد استفحل أمرها في عهد خلفائه من بعده لتصل أوجها في السنوات الأخيرة مثلا في عهد هيراكليوس و خلفائه الضعاف الذين أصبح ولاتهم و الأدواق في عهدهم لا يستجيبون لأوامر السلطة المركزية في القسطنطينية[2].

ولمواجهة هذه الأزمات الداخلية و الخارجية سواء كانت عسكرية أو سياسية أو اجتماعية أو دينية قرر الأباطرة خفض عدد الجنود المرابطين في شمال إفريقيا و بالتالي الانقاص من النفقات المالية المخصصة للمنشآت الدفاعية العسكرية، ظنا منهم أن المنطقة لا تشكل خطرا عليهم في المستقبل القريب، بل ينظر إليها كآخر ملجأ للحضارة البيزنطية[3]. عين جوستينينوس الثاني الوالي طوماس كحاكم على شمال إفريقيا الذي استطاع بمناورات محكمة أن يكسب ثقة أمراء المور وضمن بذلك السلم على المقاطعات. وإن عجل الأمبراطور في إعادة تنظيم الجيش والقيام بإصلاحات في المنظومة المالية ومحاولة تخفيف من الفقر لرعيته، حاول من جهته الحاكم طوماس من تسيير النظام الدفاعي بحكمة وبناء منشآت جديدة ليستكمل بذلك الخطوط الدفاعية الاستراتيجية[4].

---

[1] دريسي سليم : المرجع السابق، ص 79.

[2] محمد الهادي حارش : التاريخ المغاربي القديم التاريخ السياسية و الحضاري، المرجع السابق، ص 282.

[3] دريسي سليم : المرجع السابق، ص 79.

[4]– Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine, p. 458.

كما عملت الإدارة على ضبط نظامها الجبائي حتى تضمن مداخيل أكثر للخزينة المالية بفضل الضرائب التي تسمح لها بدفع رواتب الجنود والاعتناء بمختلف المنشآت[1]. لكن ونظرا للأسباب السالفة الذكر أوقفت هذه الديناميكية وأخّرت الانشغالات الحساسة لشمال إفريقيا وتجاهلها ذوي السلطة السياسية الذين انهمكوا في إبعاد الخطر القادم من شتى جهات الأمبراطورية.

كان لضعف السلطة بالمنطقة أن تعزز نفوذ الملك الموري غرمول الذي استطاع القيام بثلاث ثورات قتل فيها عام 569م الحاكم تيودور، وفي عام 570م قتل الحاكم العسكري تيوكتيستوس وأخيرا في عام 571م لقي حتفه الحاكم العسكري أمابيليس على أيدي المور[2].

تدهورت أحوال السكّان، فكان سببا مباشرا لفرار البعض منهم إلى بلدان أخرى آمنة ولم يكن بمقدور الإدارة تسيير الوضع الاجتماعي والوضع الأمني اللّذان أصبحا يتأزمان يوما بعد يوم. لما اعتلى الإمبراطور تيبيريوس الثاني العرش (578م- 582م) حاول بواسطة الدبلوماسية وبإعانة مالية شراء ذمم الأمراء سواء كانوا بإفريقيا الشمالية أو في المواطن الأخرى. وعين طوماس حاكما إداريا وأسندت لغينياديوس المهام العسكرية كونه كان الحاكم العسكري الأعلى. استطاع غينياديوس الاطاحة بالملك غرمول و قتله في حوالي 578 م[3].

لكن رغم هذا النصر والإصلاحات التي اتبعتها في المجال الإداري واسترجاع الطمأنينة في المقاطعات الخاضعة للكيان البيزنطي إلاّ أنّه لم يبلغ الهدف المنشود. فكون الخطر مازال قائما والصادر من الإمارات المورية التي تتمركز قرب الحدود غير المنتظمة، يضاف إليه وجود كنيسة تتمتع باستقلاليتها وتعارض غالبا الممارسات الدينية الرسمية دون أن نتجاهل الغاضبين على السلطة سواء كان الدافع المنصب على الوضعية الاجتماعية المزرية أو سببه الأعباء الثقيلة للضرائب[4].

---

[1] Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine, p. 458.

[2] شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص. 377.

[3] Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine, p. 463. محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري، المرجع السابق، ص 277.

[4] دريسي سليم : المرجع السابق، ص 80.

2ـ اصلاحات الامبراطور موريس: نظرا لهذه الأوضاع المزرية اضطر الإمبراطور موريس (582م- 602م) إلى استحداث نظام جديد لتسيير إيطاليا وإفريقيا والذي يتمثل في الأرخونية Exarchat. أي أنّ المغرب القديم سيمثل ولاية مستقلة نوعا ما ، وما يميز هذا النظام هو إزالة ازدواجية السلطة الإدارية والعسكرية بحيث يكون الحكم لهذين السلطتين في يد أرخون. وفي هذه الحالة يغلب الطابع العسكري على الجانب الإداري، أي هيمنة العسكريين على الموظفين الإداريين[1].

أصبح هذا النظام سائر المفعول بدء من سنة 584م، ليعاد تقسيم المقاطعات الإفريقية من جديد حفاضا على ديمومة الوجود البيزنطي بها، وحتى تتأكد من إبقاء ممتلكاتها لجأ الأمبراطور موريس في أواخر القرن السادس إلى هيكلة إدارية جديدة تكمن في التخلي عن مقاطعة الطرابلسية وربطها بأسقفية مصر وأبقيت المقاطعات: البروقنصلية وبيزاكينا ونوميديا على نفس الحدود وجمع ما يمكن استرجاعه من ممتلكات موريطانيا السطايفية وموريطانيا القيصرية تحت هيئة واحدة سميت بموريطانيا الأولى، بينما موريطانيا الثانية ضمّت إليها مدينة سبتة وجزر الباليار وأضيف إلى إقليم إفريقيا جزر سردينيا وكورسيكا[2].

أول آرخون وظف بشمال إفريقيا هو غينياديوس الذي كان له الفضل في هزم وقتل الملك غرمول. وتقلّد هذه المهنة بين 6 ماي 585م وشهر جويلية 591م. وامتاز بالمهارة العسكرية التي أهّلته للسيطرة على الوضع الأمني واسترجاع ثقة الرعيّة[3].

وإذا كانت شمال إفريقيا قد عانت من عدم الاستقرار خلال فترات حكم جوستينيانوس وبعد وفاته، فإنه يلاحظ استرجاع الهدوء الأمني والرخاء الاقتصادي منذ أن طبق نظام الآرخونية ويستمر كذلك إلى أن قدم العرب الفاتحون. لكن من جهة أخرى انعكست شدّة الأمبراطور سلبا في تنفيذ سياسة اقتصادية صارمة، ولم تحتمل رعيته ولا جنده في

[1] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري، المرجع السابق، ص 293.

[2] Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine, pp. 467- 469.

[3] سليم دريسي: المرجع السابق، ص 81.

القسطنطينية أعباء أخرى لذا شقّ الجيش عصا الطاعة سنة 602م وقتل الأمبراطور موريس في نهاية السنة واستبدل بفوكاس (602م- 610م) الذي كان قائدا لفرقة عسكرية[1].

امتازت فترة فوكاس بالفوضى، فأسرع بقمع كل ما هو مشكوك فيه وراح يقضي على أسرة وأقارب ومحبي الإمبراطور موريس. وكان عليه أن يواجه مرّة أخرى الخطر القادم من الفرس الذين ألحقوا به هزيمتين في 604م و605م، وتمكنوا من التوغل إلى أرمينيا في 606م، وألحقوا أضرارا كبيرة بسوريا وفلسطين عام 607م. وفي سنة 609م توسعوا نحو بعض المناطق في آسيا الصغرى إلى أن أصبحوا على مقربة من القسطنطينية ، فتضاعف في نفس الفترة غضب الجماهير وكثرت المؤامرات للإطاحة بفوكاس الذي كان رده عنيفا حيث كان يأمر بقتل كل معارض، فأصبحت الأنظار والآمال تنتظر من يخلصها من هذا الاستبداد والفوضى و فعلا جاءت النجدة من إفريقيا الشمالية ولعب الآرخون هرقليوس الأب دورا في إطاحة ملك فوكاس [2]. وعين حينئذ في 5 أكتوبر 610م هرقليوس الابن (610م-641م) امبراطورا جديدا للإمبراطورية البيزنطية.

لكن هذا الامبراطور لم يتمكن أيضا من صدّ هجمات الفرس الذين احتلوا كل من فلسطين وسوريا ومصر وخرّبوا حينها مدينة القدس وسلبت منها ممتلكاتها المقدسة، كما سقط شمال إيطاليا على يد اللومبارديين وفقد الجزء الكبير من إسبانيا، هندها قرر تحويل مقر ر سلطته من القسطنطينية إلى قرطاجة سنة 619م لما توفره المقاطعات الإفريقية في تلك الفترة من مؤهلات تجعلها قادرة عن الدفاع على الامبراطورية البيزنطية[3].

لم يتمكن الامبراطور من تنفيذ مخططه بسبب توسلات سكّان القسطنطينية الذين رجوه عدم الذهاب خارج القسطنطينية وكذا رفض كبار رجال الكنيسة لهذا الموقف، عندها تراجع الامبراطور عن هذا الأمر و قرر تركيز أغلبية القوى العسكرية المترامية في أرجاء الامبراطورية لردّ الفرس إلى حدودهم الحيوية ووقّع اتفاقيات سلم مع كل من الآفار والسلاف ليضمن السلم في منطقة البلقان.

---

[1] حاجي رابح ياسين، البازيلكات المسيحية في نوميديا دراسة تنميطية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008ـ 2009، ص. 17.

[2] دريسي سليم: المرجع السابق، ص82.

[3] دريسي سليم: المرجع السابق، ص 83.

أما الجبهة الشرقية للامبراطورية فقد كانت مسرحا لتطورات جديدة كان أهمها ظهور الإسلام بشبه الجزيرة العربية. وراح العرب ينشرون هذا الدّين إلى كافة الناس وتمكنت جيوشهم من قهر المملكة الفارسية ثم تفطنت للوجود البيزنطي بالمنطقة. فبالقرب من نهر اليرموك أعطيت ضربة قاضية لجيش هرقليوس سنة 636م وضمّت بذلك سوريا إليهم، ودخلوا بيت المقدس في سنة 638م وأزاحوهم عن مصر في سنة 641 وفتحوا الاسكندرية عام 642م[1].

فاستقبلت بلاد المغرب الفارّين من المشرق وخاصة من مصر وكان من بينهم رجال الدّين الذين أثاروا بدعة دينية المتّصفة "بالإرادة الواحدة Monothélisme"[2] وتمسك الأفارقة بالعقيدة المسيحية الأولى رغم ولاء الأباطرة لهذه البدعة، الشيء الذي أحدث تباعدا بين الأفارقة وحكّام بيزنطة، وبالمقابل نلاحظ تقاربا بين البابا تيودور بروما والمنظور الإفريقي في هذه القضية[3]. ونظرا لانحياز السلطة لهذا التيار الديني وما أثار من سخط وغضب من صفوف أهالي المغرب البيزنطي، أضف إلى ذلك الأوضاع الأمنية التي تحسنت بفضل نظام الآرخونية التي انعكست بصفة إيجابية على الوضعية الاقتصادية.

دفعت هذه الاضطرابات الدينية من جهة والمحفزات الاقتصادية من جهة أخرى الآرخون جرجيس سنة 646م إلى إعلان استقلال شمال إفريقيا عن السلطة البيزنطية وقطع كل العلاقات مع الامبراطور قسطنطين الثاني (641م- 668م) ولتجسيد حكمه بصفة فعلية وإعطائه بعدا سياسيا ضرب جرجيس العملة باسمه كأمبراطور وفضّل أن تكون مدينة سبيطلة عاصمته في مقاطعة بيزاكينا، فانضمّ إليه الأهالي من نوميديا وبيزاكينا ليكونوا جيشا تحت قيادته[4] و هو الذي سيواجه حملات المسلمين الفاتحين فيما بعد.

[1] Lot (F.), L'art militaire et les armés au Moyen-Âge en Europe et dans le proche Orient, t. I, Paris, 1946, p. 57.

[2] شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص. 381.

[4] دريسي سليم: المرجع السابق، ص 84.

خاتمة

خاتمة: بعد دراستنا البسيطة لكل محاور مقياس تاريخ و حضارة المغرب القديم 2 توصلنا إلى النتائج الآتية:

1 ـ شكلت الأرض الافريقية منذ بداية الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم الهدف الأساسي بالنسبة لمختلف شرائح و طبقات المجتمع الروماني من أعلى طبقة في هرم السلطة و هي طبقة الحاكمة الممثلة في القياصرة و الأباطرة و أعضاء الطبقة السيناتورية (مجلس الشيوخ الروماني) إلى أدنى طبقة فيه التي تضم المزارعين و الجنود حيث ترجم هذا الاهتمام بالسعي نحو رومنة الأرض الافريقية من خلال تطبيق سياسة استيطانية قوامها الاستيلاء على هذه الأرض و نزع ملكيتها من أصحابها الأصليين مقابل إعادة تقسيمها من جديد على أفراد من الفئات المذكورة أعلاه.

2ـ كما لمسنا أيضا محاولة السلطة الرومانية رومنة بعض العناصر المحلية الذين أبدو استعدادا للتخلي عن أصولهم المحلية مقابل حصولهم على المواطنة الرومانية من خلال منحهم حق امتلاك بعض الأراضي سواء عن طريق الوراثة أو عقود الايجار وهذا طبعا من أجل تكوين طبقة أرستقراطية محلية مرومنة.

3ـ عرفت بلاد المغرب القديم ظهور أشكال جديدة من المستثمرات الفلاحية التي لم تكن موجودة سابقا و رافقتها العديد من التشريعات و القوانين التي تنظم كيفية إدارتها وتوزيعها.

4ـ قام الرومان بعد احتلالهم للمناطق المغاربية القديمة بتقسيمها إلى مقاطعات والمقاطعات إلى مدن مختلفة الرتب بين بلدات و مستعمرات.

5ـ خلف الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم موروثا حضاريا ثريا و متنوعا شمل مختلف الميادين السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية حيث عرفت الديانة المغاربية القديمة على سبيل المثال عدة تطورات عرفت ظهور عبادة آلهة أجنبية جديدة إغريقية و رومانية كما شهدت بعض الآلهة المحلية عدة تغيرات في أسمائها و طرق عبادتها في حين احتفظ البعض الآخر منها بأسمائه و طرق عبادته المحلية كما عرفت الحياة الدينية تغييرا في المرافق الدينية حيث ظهرت إلى جانب المعابد الكنائس مع دخول المسيحية.

6ـ كما عرفت المدينة النوميدية عدة تطورات مست مرافقها القديمة كالأسواق، و ظهرت المسارح و الحمامات التي عرفت بهندستها الجميلة و التي أعطت وجها جديدا للمدينة النوميدية.

7ـ على الرغم من حدوث العديد من التغيرات الحضارية بعد الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم إلا أن تمسك سكانه بهويتهم المحلية و بنمط معيشتهم دفعهم للدفاع عنها كلما سمحت لهم الفرصة و هو ما أثبتته جل المقاومات المحلية التي بقيت مستمرة منذ دخول الرومان إلى أراضيهم دهورا من الزمن إلى غاية مجيء غزاة جدد إليها كالوندال مثلا و من أبرز تلك المقاومات و الثورات مقاومة يوغرطة، تاكفاريناس و آرابيون و غيرهم كثير.

8ـ عرفت بلاد المغرب ظهور دين سماوي جديد عرف بالمسيحية كان قد انتشر في بادئ الأمر سرا ثم خرج للعلن تعرض أتباعه في البداية إلى الاضطهاد من قبل السلطة الرومانية و كذلك من طرف الوثنيين المتعصبين لكنهم تمكنوا في النهاية من الدعوة لدينهم فبرز العديد من القديسين الأفارقة الذين قدموا للمسيحية الكثير مثل القديس أغسطينوس وأوبطا الميلي و غيرهما كثير.

9ـ إن تعسف الكنيسة الكاثوليكية ببلاد المغرب و الممارسات السلبية لبعض قساوستها جعل مسيحيو إفريقيا ينتفضون و يثورون ضدها ليس هذا فحسب بل أسسوا مذهبا جديدا منشقا على المذهب الكاثوليكي عرف بالدوناتية التي انتشرت بشكل واسع في أوساط الفلاحين و الطبقة الفقيرة .

10ـ أدى سوء استعمال السلطة الرومانية لمختلف أساليب القمع و الابادة للعنصر المحلي الذي تفنن المشرع الروماني في ايذائه عن طريق سلب أراضيه و اعتبارها ملكا عموميا للشعب الروماني و تحويله إلى أجير أو عبد لأصحاب الأرض الجدد إلى تنامي الحقد اتجاه العنصر الروماني الذي عرف هو الآخر في نهاية فترة الاستعمار الروماني تدهورا مكن الغزاة الجدد (الوندال) من التخلص منه و احتلال بلاد المغرب بدلا عنه لكن هذا المستعمر الجديد لم يكن أحسن من سابقه إذ تعرض سكان المغرب طيلة فترة احتلاله إلى شتى أنواع الظلم الاجتماعي و الاقتصادي لكنه لم يستسلم و ظل يقاوم بكل شراسة إلى أن تم التخلص منه.

11ـ أدى ظعف بصيرة الوندال إلى عدم تمكنهم من ابقاء بلاد المغرب تحت سيطرتهم سوى عقدا من الزمن إلى أن حاول ورثة العرش الروماني الجدد البيزنطيون استرجاع ما سلب منهم في بلاد المغرب ومثل كل مرة حاول سكان المغرب هذه المرة (المور) المقاومة بشدة ولم تعرف المنطقة الاستقرار إلا في بعض الفترات التي كانت تتم فيها الهدنة بين الطرفين، حيث أظهرت الممالك المورية قوة عسكرية لا يستهان بها و دهاء سياسيا مما مكنهم من كسب الكثير من المعارك وتكبيد العدو خسائر كبيرة بشرية و مادية مهدت فيما بعد الطريق أمام الفاتحين المسلمين للقضاء على الاستعمار البيزنطي نهائيا بالمنطقة و بداية عهد جديد.

قائمة المصادر و المراجع

أولا: المصادر باللغة العربية و المترجمة:

1ـ القديس أغسطين: مدينة الله، مج 12، الكتاب الثاني، تر الخور أسقف يوحنا الحلو ط2، دار المشرق ، بيروت لبنان، .2007

2ـابن عبدالحكم : فتوح مصر و افريقيا، تح: عبج الله أنيس الطباع، بيروت، 1964.

3ـترتليانوس: المنافحة دفاع عن التوحيد، ج2، تر عمار الجلاصي، طرابلس ، ليبيا 2001م.

سالوستيوس: حرب يوغرطة، تر محمد الهادي حارش، ط1، الجزائر، 1991م.

4ـ عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، تح خليل شهادة، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، .2000

5ـ هيرودوت: تاريخ هيرودوت، تر عبد الاله الملاح، إصدارات المجمع الثقافي ، أبو ضبي، الامرات العربية المتحدة، 2001

ثانيا: المصادر باللغة الأجنبية:

1-Pline (L.), Histoire Naturelle,IV, Trad, J. Desanges, Paris, 1980.

2-Procope, Guerre des vandales, I, VIII

3-Salluste, Bellum Jugurthinum, XXVIII.

4-Tacite: Annales, II, LII

ثالثا: المراجع باللغة العربية و المترجمة:

1ـ اصطيفان أكصيل: تاريخ إفريقيا الشمالية القديم، ج6

2ـ جميل حمداوي: المقاومة الأمازيغية عبر التاريخ ، منشورات دار المعارف الرباط، المغرب ، 2013.

3ـ رؤوف شلبي: أضواء على المسيحية ، منشورات المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 1975

4ـ شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية،ج 1، تر محمد المزالي و البشير بن سلامة، ط2، الدار التونيسية للنشر و التوزيع، تونس 1968

5ـ عمار المحجوبي: ولاية افريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السيفيري(146ق.م ـ 235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، .2001

6ـ كامبس: في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، تر محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية 2009م.

7ـ محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات) ،دار الحكمة ، 2003

8ـ محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري(الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، 1999.

9ـ محمد البشير شنيتي: الجزائر قراء في جذور التاريخ و شواهد الحضارة ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر 2013.

10ـ محمد البشير شنيتي: نوميديا و روما الامبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، كنوز الحكمة، .2012

11ـ محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية و الحضارة البونية، دار الأمة للطباعة و النشر، الجزائر، 1998

12ـ محمد الصغير غانم: مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2005

13ـ محمد العربي العقون: المؤرخون القدامى، غايوس كريسبيوس سللوستيوس(86ـ 53ق.م) و كتابه حرب يوغرطة، دار الهدى ، عين مليلة، 2006

14ـ محمد العربي عقون: الاقتصاد و المجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون الجزائر ، 2008م.

15ـ محمد المبكر: شمال إفريقيا القديم حركة الدوارين و علاقتها بالدوناتية 305م ـ429م، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية بالرباط، رسائل و أطروحات رقم:52، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001

16ـ محمد الهادي حارش : التاريخ المغاربي القديم ، السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامي.

17ـ محمد الهادي حارش: مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة للطباعة و النشر، الجزائر، 2013م

18ـ محمد حسين فنطر : يوغرطة من ملوك شمال افريقيا و أبطالها، الدار التونسية ، تونس

19ـ هنريات كامبس فابر: الزيتون و الزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، تر محمد العربي العقون، دار الهدى عين مليلة.

رابعا: المراجع باللغة الأجنبية:

1-Adam(J.P.), La construction Romaine, matériaux et technique, éd. 3, France, 1995

2-Benabou(M.), La résistances Africaine a la romanisation, Paris, 1976

3-Cagnat (R.), L'Armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, ed. Leroux 1912

4-Champeaux (J), Le culte de la Fortune dans le monde romain,Tt.2, Paris, 1987

5-Chastangol (A.), L'album municipal de Timgad, Bonn, 1978

6-Coutois(Ch.), Les Vandales et L'Afrique , éd., Arts et Metiers graphique, Paris

7-Diehl (Ch.), L'Afrique byzantine. Histoire de la domination byzantine en Afrique (533-709), Paris, 1896

8-Fantar (M.H), Decret (F.), L'Afrique du nord dans l'antiquité, Paris, 1981

9-Gascou(J.), La politique municipale de l'empire romain en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime Sévère, (Rome) 1972.

10-Hugoniot (Ch.), Les spectacles de l'Afrique Romaine, T.1

11-Lasser(J.M), Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des Sévères (146 a. C -235 P. C), éd., centre national de la recherche scientifique paris, 1977

12-Lassere(J.M), Manuel d'épigraphie romaine, vol. 1, Paris, 2007

13-Le chanojen(J.), Ancienne revêches et Ruines chrétiennes de la Numidie et de la sitifienne, R.S.A.C., 1912, éd., Regné Roger , librairie africaine et coloniale , Paris, 1913 Ancienne revêches

14-Leglay (M.), Saturne Africain, Monument, T. I

15-Lepelley(C.), Les cites de l'Afrique Romaine au bas empire, T2, Paris 1981

16-Lot (F.), L'art militaire et les armés au Moyen-Âge en Europe et dans le proche Orient,

17- Marrou (A.I), La basilique Chrétienne d'Hippone d'après le résultat des dernières fouiller , communication de la III international conférences en patristique studies, Oxford, 22, 24, septembre, 1959,

18-Michel.(J), l'Aurès au VI siècle. Note sur le récit de Procope Antiquité africaine, T. 15, 1980,

19-Nicole (S.), Les forum et la vie du forum en Afrique proconsulaire, institut national d archeologie et arts, Tunis

t. I, Paris, 1946

20-Toutain(J.), Les cultes païens dans l'Empire romain, Paris, 1917

خامسا: الأطروحة و الرسائل الجامعية بالفرنسية:

1-Ben Zina (Z.), Documents épigraphiques relatifes au culte d Aesculape Africain, Mémoire de maitrise, Universite des langues et lettres de grenoble.

الأطروحات و الرسائل الجامعية:

1ـابراهيم بورحلي: مستعمرة مداوروس و إقليمها الترابي، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه دولة في الآثار القديمة، معهد الآثار جامعة بوزريعة، 2009ـ 2010

2ـتوفيق حموم: كهنة وكهنوت العهد الإمبراطوري الأول في شمال إفريقيا من خلال الكتابات اللاتينية، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999

3ـ جمال مسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري ثورات الأوراس و التخوم الصحراوية نموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة المجاستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2007ـ 2008

4ـ خديجة منصوري : التطورات الاقتصادية بموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني ، دكتوراه دولة ،جامعة وهران

5ـ رياض دحمان: الحمامات الشرقية لمدينة كالما في مجالها العمراني الروماني القديم، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، جامعة الجزائر2 ، 2013ـ 2014

6ـ سليم دريسي : البيزنطيون في شمال إفريقيا الاحتلال و العمارة الدفاعية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008

7ـ محمد العربي عقون: الاتحاد السيرتي من استيلاء سيتيوس على سيرتا 46ق.م إلى أحداث القرن الرابع الميلادي،ج1، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2003ـ 2004

8ـ محمد فوزي معلم: المنشآت و المعالم الأثرية الريفية لسلسلة جبال ماونة و ضواحيها- جنوب قالمة- رسالة دكتوراه في الآثار القديمة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2014-2015م.

9ـ محمد محمد الصالح العود التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429ـ 534م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة، 2008ـ 2009م

10ـ يوسف عيبش: الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي دكتوراه دورلة في التاريخ و الآثار ، جامعة منتوري قسنطينة، 2008

سادسا: الدوريات بالعربية:

1ـ توفيق حموم: البنية الاجتماعية و المؤسسات المدنية و الدينية داخل المدن النوميدية تحت الاحتلال الروماني، مجلة المعارف للدراسات و البحوث التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر، ع8، نوفمبر 2016م.

2ـ جازية فيلالي: دراسة مقارنة للمسرح الروماني في الجزائر القديمة مسرحي قالمة وخميسة، أعمال الملتقى الوطني الأول يومي 6ـ 7 نوفمبر 2013، جامعة معسكر، مكتبة الرشاد، الجزائر.

3ـ خديجة منصوري : مستوطنة سيتيفيس في الفترة الرومانية النشأة و النمو الاقتصادي مجلة العلوم الإنسانية ، ع15، جامعة منتتوري قسنطينة ، الجزائر،2001

4ـ خديجة منصوري: الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أعمال ملتقى دولي في التاريخ، بعنوان التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، 23-24 أفريل 2001، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة.

5ـ خديجة منصوري: الصراع الدوناتي الكاثوليكي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، ع12، سبتمبر 2002م.

6ـ خديجة منصوري: مستوطنة سيتيفيس في الفترة الرومانية النشأة و النمو الاقتصادي مجلة العلوم الإنسانية ، ع15، جامعة منتتوري قسنطينة ، الجزائر،2001.

7ـ السعيد خاشة: النخب الإدارية و الإجتماعية لمدينة تمقاد خلال الفترة الرومانية، أشغال الملتقى الوطني الثالث الأوراس عبر التاريخ يومي 30ـ 31أفريل 2015، منشورات المتحف العمومي الوطني الإخورة الشهداء بولعزيز، خنشلة، 2015م.

8ـ عبد الحميد عمران:حركة التنصير في شمال إفريقيا خلال القرنين الثاني و الثالث الميلاديين، مجلة دراسات تاريخية ، ع ع 115، 116، أيلول كانون الأول، 2011

9ـ فريدة منصوري : صيانة و تهيئة المسبح الروماني" حمام برادعة" بهيليوبوليس، أعمال الملتقى الوطني حول خمسون سنة من البحث الأثري في الجزائر، 16ـ 17 جانفي ، بوزريعة، الجزائر، 2012.

10ـ محمد البشير شنيتي: التوسع الزراعي الروماني و ظاهرة البداوة في الجزائر القديمة، المركز الوطني للدراسات التاريخية ع23، الجزائر 1987.

11ـ محمد البشير شنيتي: الدوناتية و ثورة الريفيين بنوميدياخلال القرن الرابع، مجلة الأصالة، ع ع 60،61، الجزائر، 1978،

12ـ محمد الحبيب بشاري: سياسة روما الزراعية في الجزائر القديمة(نوميديا و موريطانيا القيصرية)، أعمل ملتقى المدينة و الريف في الجزائر القديمة جامعة معسكر، 2013

13ـ محمد السعيد قاصري: ثورة يوغرطة، أشغال الملتقى الوطني الثالث 30، 31 مارس، الأوراس عبر التاريخ، منشورات المتحف العمومي الوطني خنشلة، 2015، 447ـ 466.

13ـ محمد الصغير غانم: بعض ملامح ثورات التحرير ضد الاستعمار الروماني خلال القرن الاول الميلادي (ثورة تاكفاريناس أنموذجا)،حولية المؤرخ، الجزائر 2002

14ـ محمد الصغير غانم: علاقة نوميديا بالرومان، مجلة التراث، ع2، دار الشهاب باتنة، 1987.

سابعا: الدوريات و المجلات باللغة الأجنبية:

1-Benseddik (N.), Esculape et Hygieen Afrique : Classicisme et originalité, Ant. Afri., T33, 1997

2-Bahloul Guerbabi (F.Z.). Restitution de deux grands Thermes de type impérial, les grands thermes de Lambèse des grands thermes du nord de Timgad, L Afri- Rom., XIX, Sassari, 2010, Roma 2012

3-Bel Faida(A.), Le culte de Silvain en Afrique romaine: témoignages XV, Tozeur 2002, Roma 2004 épigraphiques, LAfri. Rom,

4-Belfaida (A), Le culte des Génies topiques dans l'Afrique romaine : témoignages épigraphiques, Afr.Rom 1996, (1998)

5-Belkahia Karoui(Th.), Ediles et édilité en Afrique proconsulaire et en Numidie, L'Africa, Romana ,Vol 2, XVII Olbia, Roma 2010

6- Ben Abid (L.), Le culte du Soleil dans les provinces romaines d'Afrique, Afri. Rom., XIX, Sassari 2010, Roma 2012

7- Benabou (M.), Proconsul et légat en Afrique le témoignage de Tacite Ant.af N° 6, 1972

8-Benseddik (N.), Esculape , Hygie et la III Légion Auguste, LAfri., Rom., XV, Tozeur 2002, Roma 2004

9-Bullo(S.), La dea ops nel panthéon Romano- Africano, L. C.T., N178, 1997, éd., Alpha, Tunis, 2001

10-Chennaouni(Y.), Les théâtres de la Maurétanie Césarienne : étude comparative, LAfri-Rom. XVII, Sevilla2006, Roma 2008

11- Fournel (H), Richesse minérale de l'Algérie, I, Paris, 1959

12-France (J.), L'Afrique Romaine des flavienes aux vandales ,le christianisme en Afrique romaine, concours 2005-2006. Université Michel de Montaigne Bordeaux 3,

13-Hirschfeld(O.), I Sacerdozi dei municipi romani nell'Africa, Annali dell'Istituto di correspondeza Archeologica , XXXVIII, 1866, pp. 47-58.

14-Jacques(F.), La questure municipale dans l'Afrique du Nord romaine, B.C.T.H, n° S., 17 B, p. 211-224

15-Kaabia(R.), Epitheta deorum et richesse agricole en Afrique , Afri-Rom., XVII, Sevilla, 2006, Roma 2008, pp. 291-306.

16-Lavedan (p.), Dictionnaire illustré de la mythologie et des antiquités grecques et romaines, Paris, ، ،1931

17-Leglay (M.), Le Paganisme en Numidie et dans les Maurétanies sous l'empire Romain, Etat des recherches entre 1954 et 1990, Ant. Afr.,T 42,

2006

18-Leglay (M.), Steles a Saturne dAin Gassa(Tunis), L.C.T., N44, 1963, Tunis

19-Leglay(M.), et Tourrenc(S.), Nouvelles inscriptions de timgad sur des légats de la troisième légion Auguste, Ant.Afr, T21, 1985, pp103-136.

20-Leglay(M.), Inscriptions Inédites de Lambèse se rapportant au culte de Mercure, dans, B.C.T.H., 1967

21-Lengrand (D.) Les inscriptions votives païennes des esclaves et des affranchis d'Afrique du Nord romain, Afr. Rom., 1996

22-Mansouri (Kh.), Le Paganisme dans les colonies de la confédération cirtéenne à travers épigraphies, Afr. Rom 16, Vol 3, 2004

23-Marty(J.), et Royer(L.), Notes archéologiques sur Hammam Meskoutine et ses environs , R.S.A.C., 1891,

24-Meloni(L.), Le nundinae nel Nord Africa: produzoine merci scambi nelleconomai die vici, LAfri-Rom.XVII, Sevilla2006, Roma 2008,

25-Piquet (M.), Notice sur une Inscriptions romaine et sur quelques vestiges romains trouves dans la region de carubert et ain beida, R.S.A.C, 1912

26-Scardamalia (M.R.), Tetri, biblioteche, scuole di retorica: manifestazione del potere e scambi culturi nell citta dell Africa romana, Afri. Rom.XIX., Sassari 2010, Roma 2012

27-Schid(J.), Sanctuaires et thermes sous l'empire, Actes de table ronde organisée par l'école française de Rome, 11-12 novembre 1988

28-Shaw(B.D.), Rural Markets in north africa and the political economy of the roman empire, Ant.Afri., T17, 1981,

المعاجم و القواميس باللغة الاجنبية:

1-Grimal (P.), Dictionnaire de la Mythologie Grecque et Romaine, Paris, 1990.

مقدمة.....1
المحور الأول: السياسة الرومانية في بلاد المغرب:.....3
أولا: الأرض الافريقية و المشرع الروماني(أهمية الأرض بالنسبة للرومان).....3
ثانيا: أهم أشكال المستثمرات الفلاحية وأهم التشريعات و القوانين الرومانية.....8
ثالثا: التنظيم الاداري للمقاطعات الافريقية.....12
المحور الثاني: الموروث الحضاري للاحتلال الروماني.....25
أولا: مظاهر رومنة المعتقدات الافريقية و أفرقة المعتقدات و المعبودات الرومانية.....25
ثانيا: تطور المدينة النوميدية و بعض مظاهر رومنتها.....41
المحور الثالث: المقاومة المحلية للاحتلال الروماني.....58
أولا: مقاومة يوغرطة للاحتلال الروماني.....58
ثانيا: ثورتي أرابيون و تاكفاريناس مع مازيبا.....64
المحور الرابع: المسيحية الافريقية.....71
أولا: أسباب و عوامل انتشار المسيحية في بلاد المغرب و ظهور المذهب الدوناتي....71
المحور الخامس: الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم.....81
أولا: أسباب و مراحل الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم (429ـ 534م).....81
المحور السادس: الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب.....85
أولا: أسباب و مراحل الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب.....85
المحور السابع: الكيانات المورية.....91
أولا: ظهور الامارات المورية المحلية و علاقاتها مع الوندال ثم مع البيزنطيين.....91
ـ المغرب عشية الفتوحات الاسلامية.....94.
أولا: المغرب عشية الفتوحات الاسلامية.....94
خاتمة.....101
قائمة المصادر و المراجع.....104
فهرس الموضوعات.....111